الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التـــعليم الـــعالي و البحـــث العلـــمي

جامعـــــــة الدكتـــــور يحـــــي فـــارس بالمديـــــة

كليةٌ الآداب و اللغات الأجنبية

قسم اللـغـة و الأدب العربي

محمد بن أبي شنب حلقة تواصل ثقافي بين الشرق والغرب

مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

تخصص : أدب مقارن

إعداد الطالب :

جمال روباحي فيسة

السنة الجامعية : 2013- 2014

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التـــعليم الـــعالي و البحـــث العلـــمي

جامعـــــة الدكتـــور يحـــي فـــارس بالمديـــة

كليةّ الآداب و اللغات الأجنبية

قسم اللـغة العـربية والأدب

محمد بن أبي شنب حلقة تواصل ثقافي بين الشرق والغرب

مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

تخصص : أدب مقارن

إعداد الطالب :

جمال روباحي فيسة

إشراف الأستاذ

-د. وحيد بن بوعزيز

السنة الجامعية : 2013- 2014

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التـــعليم الـــعالي و البحـــث العلـــمي

جامعـــــة الدكتـــــور يحـــي فـــارس بالمديـــة

كليةٌ الآداب و اللغات الأجنبية

قسم اللـغة و الأدب العربي

محمد بن أبي شنب حلقة تواصل ثقافي بين الشرق و الغرب

مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

تخصص : أدب مقارن

إعداد الطالب

جمال روباحي فيسة

إشراف الأستاذ

- د. وحيد بن بوعزيز

أعضاء اللجنة المناقشة

د.محمد زوقاي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المدية	رئيس
د.وحيد بن بوعزيز	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر	مقرر و مشرف
د.محمدشنوفي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر	عضو مناقش
د.امبارك تريكي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المدية	عضو مناقش

الإهداء :

أهدي هذا البحث إلى كل من:

-والدي الكريمين اللذين ساعداني برضاهما عني والدعاء لي بالتوفيق.

-زوجتي الكريمة و أبنائي الأعزاء .

-إلى كل أساتذتي الكرام و أخص بالذ كر أستاذي الكريم وحيد بن بوعزيز.

- إلى روح الفقيد العلامة محمد بن أبي شنب.

الشـكر:

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث و على رأسهم:

- الأستاذ المشرف :د/وحيد بن بوعزيز الذي قبل الإشراف عن هذه الرسالة وحرص كثيرا على نجاحي في هذا البحث، وأعانني بعلمه و حلمه، و صبره وتوجيهاته القيمة،
- إلى الاساتذة اعضاء لجنة المناقشة الذين سهروا على قراءة هذه الرسالة وافادوني بملاحظاتهم وانتقاداتهم القيمة، والتي تخدم الرسالة خاصة و البحث العلمي عامة،
- إلى **السيد عميد الكلية ونائبته وكل المساعدين له على الجهود المبذولة ،**
- إلى **كل الأساتذة الذين تتلمذت** على أيديهم خلال السنة الأولى ماجستير، والذين استفدت **منهم** كثيرا،
- إلى الأستاذ رشيد كراد الذي أمدني بنسخة من كتاب (**محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية و البعد الفكري)،**
- إلى السيد مراد بن شنب الذي فتح لي قلبه و بيته، و أمدني ببعض المراجع القيمة **و من بيته كانت الفكرة و الانطلاقة،**

- إلى زملائي في الدراسة الذين لم يبخلوا عني بتشجيعاتهم،
- إلى زملائي و أصدقائي في العمل الذين ساعدوني في طباعة هذا البحث.

مقدمـة

تقديم الموضوع

يدخل موضوع التواصل الثقافي ضمن ميادين الأدب المقارن الذي يهتم بدراسة التقارب والتلاقح بين مختلف الآداب والثقافات لمختلف الشعوب، كما يساهم في إبراز القيم الثقافية والادبية المشتركة بين البشر على مختلف اجناسهم ولغاتهم ويحاول ردم الهوة أو التضييق منها ، خدمة لحوار الثقافات هذا من جهة ومن جهة ثانية يهتم الأدب المقارن بدراسة الوسائط التي تجعل هذه الآداب والثقافات يأخذ بعضها من بعض، ومن بين هذه الوسائط نذكر منها: الشخصيات الأدبية والثقافية المشهورة، الكتب، الترجمة، والاستشراق، والرحلات، والملتقيات، والصحافة، وغيرها.

ومن بين الذين مثّلوا الشرق العربي والإسلامي في وقت مضى نذكر محمد بن أبي شنب، بالنظر إلى الدور الذي لعبه، و المتمثل في التعريف بالموروث الثقافي و تقديمه إلى الآخر، ومحاولته الوصول به إلى العالمية عن طريق تحقيقه وتنقيحه وترجمته رغم الظروف السائدة آنذاك، والذي ساعده على ذالك هو فكره المتقد، وفطنته وأصالته، واطلاعه على ثقافة الغير بواسطة معرفته للغات أجنبية كثيرة، وتفتحه ومخالطته لعلماء عصره من العرب ومن غيرهم وخاصة فئة المستشرقين، ورغم هذا كله فالرجل لم يعرف حقه عند الدارسين والباحثين بقصد أو بغير قصد، لإبرازه كأحد أعمدة النهضة الفكرية والثقافية في الجزائر وفي العالم العربي والإسلامي باستثناء بعض الكتابات عنه؛ كتلميذه الراحل عبد الرحمان بن محمد الجيلالي الذي ألف كتابا عنه حول حياته وأثاره، أو الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي،أو في كتابه أراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، وبعض المقالات هنا وهناك بمناسبة الاحتفال بذكرى وفاته، دون أن ننسى أنه مؤخرا ظهرت بعض الأقلام الجادة التي حاولت إبرازه، وتناولت جانبا من حياته أو بعض أعماله.

كما ننوه هنا بأن جامعة الجزائر التي احتضنت ملتقى دوليا امتد من 15 إلى 17 ديسمبر 2009 شارك فيه أساتذة أجلاء بمقا لام المتنوعة حول حياته وأعماله وإسهاماته المختلفة وتمخض

عنه كتاب بعنوان: (محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري)- أعمال الملتقى الدولي - وشاركت في إصدار كتاب آخر مؤلف من جزأين بعنوان: (محمد بن أبي شنب أعماله وأثاره المنشورة في الدوريات) جمع وتقديم: علي تابليت والطيب ولد لعروسي، كما لا يفوتنا الذكر أن جامعة المدية كانت هي السّباقة إلى تنظيم ملتقى دولي سنة 2006 ، ولكن للأسف لم نعثر على كتابات هذا الملتقى.

أما عن أهم المصادر التيأنارت لنا الدرب وأقنعتنا لاختيار موضوع البحث بالعنوان المذكور أعلاه، والتي و جدنا فيها الخطوط العريضة وقادتنا إلى البحث فكانت كالآتي: المصدر الأول: محمد بن أبي شنب حياته وآثاره لعبد الرحمان بن محمد الجيلالي، والمصدر الثاني: محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري المذكور آنفا من تأليف مجموعة من الأساتذة والباحثين، وحتى عنوان البحث أخذناه من هذا المصدر مع قليل من التحويل إذ كان عنوان مقالة الأستاذ الطيب ولد لعروسي: (العلامة محمد بن أبي شنب نقطة تواصل بين الغرب والشرق)، فأصبح عنوان البحث: (محمد بن أبي شنب حلقة تواصل ثقافي بين الشرق والغرب)، وكان بالإمكان تغيير العنوان ليصبح: (محمد بن أبي شنب حلقة تواصل بين الأنا والآخر)، ولكن استقر رأينا على العنوان الأول.

دوافع اختيار الموضوع :

رغم قلة المصادر والمراجع التي تتناول هذا الموضوع، إلا أن أسبابا ذاتية وأخرى موضوعية دفعتنا دفعا إلى تناول شخصية العلامة محمد بن أبي شنب نذكر منها:

أولا العوامل الذاتية: والمتمثلة في إعجابنا بشخصية الرجل منذ مدة، حيث كانت لنا فكرة عنه بأنه أول جزائري نال شهادة الدكتوراه في الأدب العربي في العهد الاستعماري فأيقنا أن الرجل قامة أكاديمية عالية يستحق الدراسة وكذلك لكوننا من أبناء المدية نفتخر بما أنجبتهم من علماء وأدباء وباحثين، وندرس بجامعتها التي لا تبعد سوى ببعض الأمتار عن مكان ولادته، فهي على مرمى حجر من مقر سكناه سابقا، فكان قرارنا أن يكون من بين اهتماماتنا كمحاولة منا رد جميل وعرفان لمكانته المعرفية والأكاديمية أن ينصب هذا الاهتمام في عمل بحثي أكاديمي، وهو يستهل ذلك مما دفعنا إلى البحث عن أفراد من عائلته أو أقاربه للسؤال عن أعماله وكتاباته، وقد اهتدينا لذلك ومن هنا كانت الانطلاقة، فاستقر في خلدنا أن

نكتب عن شخصية جزائرية كشخصية العلامة محمد بن أبي شنب، إلا أن الإعجاب وحده لا يكفي.

ثانيا العوامل الموضوعية: شجعنا عن اختيار هذا الموضوع؛ قلة الأبحاث و الدراسات الأكاديمية عن هذه الشخصية التي خدمت الأدب واللغة والثقافة العربية الإسلامية ذات البعد الوطني والمغاربي والعربي والإسلامي، سواء من الجزائريين أومن غيرهم فلعلنا نوفق في تقديم عمل جاد، نلتزم فيه الموضوعية والدقة عرفانا وتقديرا للرجل، وإثراء الموضوع للنقاش والدراسة العلمية، ومحاولة رد الاعتبار والاعتراف بالفضل والجميل لشخصه عما قام به من جهود وبذل وعطاء طيلة مسيرته الحافلة بالانجازات، ويكون لنا السبق في مناقشة أول رسالة جامعية عن هذه الشخصية العالمية، ونير الدرب لمن يأتي بعدنا للإحاطة بالجوانب التي أغفلنها، أو التوسع في الجوانب التي اختصر نا ولم تنل حقها من الشرح والتفصيل، و نقدم الإضافة في مجال تخصص الأدب المقارن باعتبار أن كثيرا من الموضوعات التي سنتطرق إليها عبر مفاصل هذا البحث تعتبر من اهتمامات الأدب المقارن، ونثري مكتبة الجامعة بمرجع من المراجع التي يحتاج إليها طالب العلم إن وفقنا في ذلك، ومن بين العوامل الموضوعية التي شجعتنا وحفزتنا للذهاب قدما هي الترحيب بالموضوع من طرف الأستاذ المشرف، وقبوله الإشراف عنا، وتوجيهاته القيمة التي استفدنا منها.

– الإشكالية: كيف استطاع ابن أبي شنب أن يكون حلقة تواصل ثقافي بين ثقافتين مختلفتين لغويا ، وجغرافيا ، ومنطلقا فكريا وحضاريا ؟

وما هي الآليات التي أهلته كي يكون حلقة تواصل ثقافي بين الشرق والغرب ؟

وهل وفق في ذلك ؟.

– الفرضيات :

* الفرضية الأولى: إحياؤه للتراث بحثا وتنقيبا وتحقيقا، واهتمامه بحقل الترجمة

* الفرضية الثانية: اهتمامه بالدراسات المقارنة، ومشاركته في المؤتمرات الاستشراقية واللجان العلمية، وكتاباته المتنوعة، ومراسلاته عبر مختلف المجلات والدوريات.

– المنهج المتبع في الدراسة: إن طبيعة الموضوع الذي نبحث فيه تحتم علينا أن ننوع في المناهج؛ بحيث نستعمل المنهج التاريخي فيما يتعلق بالتنقيب عن الأحداث التاريخية والتأكد

منها ومقارنتها إذ يتطلب الأمر، ولاسيما أن موضوع البحث ينصب حول مسيرة شخصية عالمية ضمن سياق تاريخي معين، أما المنهج الوصفي التحليلي فهو المنهج الذي نعول عليه كثيرا في المناقشة والتحليل والتعليل.

– **الصعوبات** : من الصعوبات التي اعترضت سبيلنا تكمن أساسا في قلة المصادر والمراجع المتخصصة في مثل هذا الميدان.

– **خطة البحث** :

للإجابة عن الإشكالية المطروحة ، وزعنا عناصر البحث إلى ما يلي:مقدمة تناولنا فيها بعض الجوانب والنقاط اللازمة حسب ما تقتضيه منهجية البحث العلمي الأكاديمي من تعريف بالموضوع وذكر أهم النقاط والمحاور التي تطرقنا إليها وغيرها من النقاط الأخرى، ثم فصل تمهيدي، وفصلان أول وثاني وخاتمة.

فصل تمهيدي بعنوان: الواقع الثقافي في الجزائر إبان الاحتلال، وفي هذا الفصل تطرقنا إلى السياق التاريخي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، كي نبين الوضع القائم والمفروض على الشعب الجزائري كما سلطنا الضوء على المقاومة الفكرية والثقافية من طرف بعض الأدباء والمثقفين الجزائريين، وعلى رأسهم محمد بن أبي شنب، لنثبت أنه ليس من السهل أن تقوم قائمة لعملية الإبداع الأدبي والعلمي والثقافي، ناهيك عن إظهار الثقافة العربية والإسلامية بالوجهة الصحيحة إلى الآخر.

وهذا الفصل وزعناه على ثلاثة مباحث وهي: المبحث الأول تناولنا فيه الواقع الثقافي الجزائري في عهد الاحتلال، كما أدرجنا تحت هذا المبحث ثلاثة مطالب وهي: موقف الإدارة الاستعمارية من الثقافة العربية والإسلامية في الجزائر، المقاومة الثقافية عند الأدباء والمثقفين الجزائريين، المقاومة الثقافية عند بن أبي شنب، والمبحث الثاني بعنوان: نبذة عن حياة العلامة محمد بن أبي شنب، تناولنا فيه مطلبين قصد التعريف بشخصية محمد بن أبي شنب باعتبارها الشخصية المحورية التي تنصب حولها الدراسة، إذ لابد من معرفة جانب من مولده ونشأته ومعرفة خصاله، حتى تسمح لنا بمعرفة المؤهلات والقدرات التي يتمتع بها الرجل، أما المبحث الثالث فكان بعنوان: مكانة ابن أبي شنب عند المثقفين العرب والأجانب تناولنا فيه مطلبين بالنظر إلى الشهرة التي نالها وإلى السمعة التي كان يتمتع بها آنذاك.

وفي الفصل الأول تناولنا عملية التواصل الثقافي من خلال إحياء التراث العربي والترجمة، وزعنا هذا الفصل على أربعة مباحث و هي: معنى التواصل الثقافي و أهميته، حركة التأليف و النشر عند ابن أبي شنب، حركة تحقيق المخطوطات، حركة الترجمة ودورها في التواصل الثقافي، وتحت كل مبحث من هذه المباحث أدرجنا عدة مطالب لشرح محتوى هذا الفصل عامة.

أما عن الفصل الثاني الموسوم بالتواصل الثقافي من خلال الدراسات المقارنة والاستشراق والبعثات العلمية والمراسلات، فوزعناه إلى ثلاثة مباحث مفصلية وهي: ظهور الدراسات المقارنة، مشاركته في مؤتمرات المستشرقين، مشاركته في البعثات العلمية و البحوث الأكاديمية و المراسلات، وكل مبحث من هذه المباحث بدوره فصلناه إلى مجموعة من مطالب، لشرح وتبيان أهم النقاط الأساسية المنضوية تحت هذا الفصل.

وبعدها خاتمة، لخصنا فيها ما تم التوصل إليه من نتائج واستنتاجات، وإجابة لما تم طرحه من إشكاليات، وتقديم اقتراحات أو توصيات.

وبالله التوفيق

الفصل التمهيدي:

في هذا الفصل التمهيدي نتناول جانبا تاريخيا خلال بداية الفترة الاستعمارية نوضح فيه الواقع الثقافي المعاش، والوضع الاجتماعي المفروض على الشعب الجزائري من طرف الاحتلال الفرنسي، ثم نتناول رد الفعل والمتمثل في محاولة المقاومة الثقافية عند بعض الأدباء والمثقفين والمفكرين الجزائريين، وكأنموذج أحد أبناء الجزائر العميقة، هو محمد بن أبي شنب الذي ظهر في ذلك الجو المشحون والمتأزم حاملا لواء المقاومة الثقافية على كتفيه، باعتباره موضوع الدراسة محاولين الكشف عن جوانب من حياته وأعماله ومكانته.

نتناول ثلاثة مباحث و هي:

المبحث الأول: الواقع الثقافي الجزائري في عهد الاحتلال مبرزين فيه؛ موقف الإدارة الاستعمارية من الثقافة العربية والإسلامية في الجزائر، المقاومة الثقافية عند الأدباء والمثقفين الجزائريين، المقاومة الثقافية عند ابن أبي شنب.

المبحث الثاني:نبذة عن حياة محمد بن أبي شنب، نتناول فيه؛ المولد والنشأة، والخصال.

المبحث الثالث: مكانة ابن أبي شنب عند المثقفين والمفكرين العرب والأجانب، نتطرق إلى موقف المثقفين والمفكرين العرب أولا، ثم المثقفين والمفكرين الأجانب ثانيا، وذلك حتى نهيئ انفسنا تم الدارس والمتتبع لمعرفة الوزن الحقيقي لهذه الشخصية، ولمعرفة ما ينتظرها من أدوار ومهام عظام ضمن سياق تاريخي وفي حيز جغرافي.

المبحث الأول: الواقع الثقافي في الجزائر في عهد الاحتلال

المطلب الأول: موقف الإدارة الاستعمارية من الثقافة العربية والإسلامية في الجزائر.

يؤكد بعض الدارسين والباحثين للواقع الجزائري قبيل الاحتلال الفرنسي أن نسبة الأمية كانت قليلة مقارنة بالمتعلمين، وهذا «تيران ايفون» Turin Yvonne في أحد مؤلفاته يقول: « إن التعليم الابتدائي بالجزائر كان أكثر انتشارا مما كنا نعتقده عموما وقد أظهرت علاقاتنا مع أهالي المقاطعات الثلاث أن متوسط عدد الأشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة من جنس الذكور، يساوي على الأقل المتوسط الذي أعطته الإحصائيات الولائية عن أريافنا فهناك حوالي 40 % من دون شك، لكن إن لم يكن جميع الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة ، فإم قد ذهبوا جميعا إلى المدرسة، وكانوا يستطيعون استظهار الأدعية وبعض آيات القرآن، لقد كان لجميع القبائل والأحياء الحضرية معلم مدرسة ، قبل الاحتلال الفرنسي[1].»

لكن الأمور تغيرت مع دخول المحتل الذي عمد بكل ما يملك من قوة وجبروت إلى تخريب المنظومة التعليمية، وتدميرها وإحلال الجهل والتخلف الحضاري، حيث جاء على لسان أحد قادة الاحتلال بوهران ما يلي: « إذا كانت الريبة موجودة في عهد الأتراك، فإننا لم نفعل سوى أن جعلناها مشروعة في ظل سيطرتنا ، وعندما أقمنا بالجزائر العاصمة، أخذنا المدارس كي نحولها إلى مخازن، أو ثكنات أو إسطبلات ووضعنا أيدينا على أملاك المساجد والثانويات وزعمنا أننا نطبق على الشعب العربي مبادئ الثورة الفرنسية، لكن للأسف لم ير المسلمون في ذلك إلا هجوما عنيفا على دينهم وانعدام إيمان ...» [2].

ومن أجل تدمير هذه المنظومة التعليمية المتبعة استعمل الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: استيلاؤه على الأملاك الوقفية التي كانت هي شريان المدارس والزوايا بموجب مرسوم أصدره بتاريخ 07 ديسمبر 1830م يقضي بمصادره الأملاك الوقفية إذ أصبحت الأوقاف الإسلامية تحت سيطرته، وكل المساجد والمؤسسات الإسلامية تحت أعينه بعدما كانت الكتاتيب والمساجد والزوايا عبر كامل أرجاء البلاد مصدرا للثقافة

---

[1] - ايفون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين من (1830 - 1880) ، ترجمة : محمد عبد الكريم أوزغلة، المراجعة والإشراف : مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007، ص 135 .

[2] - ايفون تيران، نفس المرجع، ص 128.

العربية والإسلامية للجزائريين، وهذا بشهادة «أوجن لومب» حيث يقول: « مما لا شك فيه أن التعليم في الجزائر خلال عام 1830م،كان أكثر انتشارا أو أحسن حالا مما هو عليه الآن، فقد كان هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم بدرجاته المختلفة فضلا عن مئات المساجد » [1].

وهذا كله من أجل قطع الطريق أمام الجزائريين حتى لا يستمروا في التعلم والتعليم ساعيا إلى تجهيل الأمة، سادا لكل منافذ التعليم والثقافة والصحافة والأدب والتاريخ واللغة العربية للقضاء على القومية العربية والشخصية الإسلامية.

يقول الجنرال « Ducrot » في أحد تقاريره إلى نابليون الثالث: « يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا [...] وبعبارة أخرى يجب أن يكون هدفنا هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا ومعنويا » [2]، غير أن نابليون الثالث أمر بتأسيس مدرسة للمعلمين بغرض تكوين الإطار المدرس للمدارس والمعاهد العربية الفرنسية وذلك في سنة 1863، غير أن هذه المدرسة لم تؤسس إلا سنة 1865 في الجزائر العاصمة، إلا أن اللغة العربية كانت تعطى بمقدار ثلاث ساعات في الأسبوع، بينما كانت اللغة الفرنسية هي الراجحة في برنامج هذه المدرسة 3.

أما عن الخطوة الثانية: فبعدما أغلقت المدارس وتوقفت حلقات الدروس الحرة في المساجد، وهاجر العلماء، وبيت المكتبات، وظّف الاحتلال الفرنسي بعض الجزائريين في مجالات مختلفة الدينية والديوانية والترجمة والصحافة، فظهر أدب غير الأدب المعهود سابقا في أسلوبه وفكره وروحه، متأثرا بالتأثيرات اللغوية والفكرية الفرنسية [4].

كما وظّف الاستعمار بعض رجال الدين في الإمامة والإفتاء والقضاء، يلقون الخطب الوعظية في الجمعة والأعياد وفق ما تمليه الادارة الفرنسية، وآخرين كمحررين ومصححين في

1- الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 261 - 262

2- بووشمة الهادي، الفكر، الهوية والتأزم في حياة محمد بن أبي شنب، قراءة سوسيوجرافية، محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري، أعمال الملتقى الدولي بجامعة الجزائر من 15 – 17 ديسمبر 2009، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي، الجزائر، 2010، ص 58 – 59، نقلا عن الأشرف مصطفى، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة بن عيسى حنفي، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، الجزائر، ص 128 – 129.

3 - حلوش عبد القادر ، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ، 2010 ، ص61

4-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثامن، من 1830 – 1954، دار البصائر، الجزائر 2007ص 09 – 10.

الصحافة، وهذا ما ساعد على نشأة نوع آخر من الأدب في الجزائر يسمى الأدب العربي الفرنسي أو «الفر نكو – أراب»، ومن الشواهد على ذلك مقالات أحمد البدوي وأحمد الفكون وعلي بن عمرو وغيرهم، من الذين تعاملوا مع جريدة «المبشر»، وأن هذا الإنتاج العربي الفر نسي قد استمرطيلة فتر ة الاحتلال مقتصرا على هذه الفئات تقريبا [1].

الخطوة الثالثة وهي: إنشاء المدارس الرسمية الثلاث بكل من قسنطينة والجزائر العاصمة وتلمسان، بدأت تحت رقابة محدودة سنة 1850م، ثم مرت إلى رقابة كاملة منذ عام 1876م، ومنذ ذلك الحين تفرنست إدارة وبرنامجا، من أجل تخريج رجال دين وقضاء في ظل الثقافة الفرنسية [2]، وكانت السلطات الفرنسية تهدف إلى إبعاد السكان الجزائريين عن تأثيرات الزوايا والمساجد والمدارس الحرة المسيرة من طرف رجال الدين الأحرار، إضافة إلى منافسة الزوايا الموجودة بكل من تونس والمغرب حتى ينتقص من وزنها الـعلمي بـ تخف ض عدد طلابا من الجزائريين وإبقائهم في الجزائر لمتابعة الدراسة العالية في المدارس الحكومية المراقبة، وضمان الولاء والطاعة لرجال الدين المكونين على طريقتها لتنفيذ مشاريعها.[3]

وفي سنة 1883م، بدأ الاستعمار يفتح أبواب المدارس لأبناء الجزائر تعليما فرنسيا بحتا لتقريبهم من فرنسا وإدماجهم في الثقافة الفرنسية، حيث أصبحت اللغة العربية في المدارس الثانوية لغة اختيارية ثانوية كأ ا لغة أجنبية، أما في المدارس الابتدائية فكان التعليم باللغة الفرنسية فقط، قصد خلق موظفين يساعدونه في تثبيت نفوذه، ومثقفين يؤمنون بالفكر الغربي وبالمقابل أغلق المدارس العربية بالقوة، ولا يرخص إلا لتعليم القرآن فقط بدون تفسير، و بدون ع لوم أخرى كاللغة و الأ ب والتار يخ و الجغرافية لأ ا تبعث الوعي في عقول طلابها، وما اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية إلا ما تدرسه فرنسا في مدارسها وبلغتها ومناهجها ففرنسا كانت تهدف إلى تحويل الإنسان الجزائري إلى إنسان فرنسي من خلال فرض لغتها على حس اب اللغة العربية وتحريم التدر يس ا[4].

لقد أدركت فرنسا أن اللغة العربية بكل ما تحمله من دلالات وثقل، تمثل خطرا عليها، ومن هنا يمكننا التساؤل كيف تعاملت مع اللغة العربية باعتبارها لغة شعب محتل من

---

[1] -سعد الله أبو القاسم، مصدرسابق، ص 11.

[2] -سعد الله أبو القاسم، نفس المصدر، ص 13.

[3] - حلوش عبد القادر، مرجعسابق، ص59

[4] الطمار محمد، مرجعسابق، ص 262 - 275 .

جهة؟ وباعتبار الحاجة الماسة لفهم عقول الجزائريين، وطريقة تفكيرهم حتى يمكنها من إحكام القبضة عليهم؟ .

وجدت فرنسا نفسها بين أمرين أحلاهما مر؛ كرهها لكل ما هو عربي إسلامي والعمل على القضاء عليه أو طمسه والتضييق عليه، والأمر الثاني حاجتها إلى معرفة لغة القوم حتى يسهل عليها حكمهم والسيطرة عليهم.

لقد فهم الفرنسيون أن حكم الإدارية والاجتماعية لا يمكن أن تلبى إلا باستعمال هذه اللغة، فكانت لهم محاولتان؛ الأولى هي إهمال تدريس العربية في المدارس القديمة وذلك بقطع مصادر الوقف عنها، والثانية هي الاكتفاء بتدريس العربية الدارجة لضباط الجيش والراغبين في العمل الإداري من الفرنسيين عن طريق بعض المشارقة الذين رافقوا جيش الحملة مثل «جوني فرعون» وهو من أصول سورية مصرية سنة 1832م، ثم واصله جملة من المستشرقين على رأسهم «لويس برنييه» منذ 1836م رفقة عدد من المستشرقين الآخرين في ربوع الجزائر.

إلى جانب اللغة العربية الدارجة، هناك من الفرنسيين من اهتم بتعلم اللغة العربية الفصحى، ومنهم: «هوداس» و «بشيربونو» و «دي سلان» و «برنييه» و«كور» وقد أولوها الأهمية من عدة نواحي؛ سياسية وتجارية وعلمية، وترجموا من تراثها الكثير، ولا سيما فئة المستشرقين أمثال: «فانيان» و «باصييه» و «ماسينيون»، مستعينين ببعض الجزائريين في هذا المال من بينهم، محمد بن أبي شنب، والحفناوي بن الشيخ، وعبد الحليم بن سماية، ومحمود كحول، وابايعلي الزواوي [1].

والعربية الفصحى من حيث البرمجة، مرت بثلاثة مراحل في المدارس الرسمية منذ انطلاقها سنة 1850م وهي: مرحلة التعريب الكامل، ومرحلة الفرنسة الجزئية (1876م)، ثم مرحلة ازدواجية البرنامج (العربي والفرنسي)، بعد وضعها تحت إشراف مستشرقين فرنسيين منذ التسعينات من القرن التاسع عشر، إذ كانت الإدارة وطرق التعليم مفرنسة إلى جانب المواد باللغة الفرنسية، حينها أصبحت اللغة العربية لغة أجنبية، وسيلة تعليمها هي اللغة الفرنسية وكذلك في مدرسة ترشيح المعلمين، أو في الثانويات الفرنسية[2]، وهذا «برسيون»

[1] -سعد الله أبو القلم، مصدرسابق، ص 14 – 15.
2 -سعد الله أبو القلم، مصدرسابق، ص 15.

المتصرف المدني **سنة 1836م، كتب** إلى المفتش العام للتعليم قائلا: « إن مهمة فرنسا في الجزائر تتوقف على دراسة اللغة العربية والتوسع فيها من أجل التعرف على الأهالي والاتصال **م** ».

كما أن الاستعمار نفسه (الاستيطان واستغلال الأرض) يتوقف على معرفة اللغة العربية، ولا يكفي في ذلك الاعتماد على المترجمين، ومن جهة أخرى **يلح «برسيون» على ضرورة دراسة اللهجات كلما توسع** الاحتلال في الجزائر، وأخيرا أن الادارة سوف **لن تقبل مستقبلا من الفرنسيين إلا الذين يعرفون العربية والفرنسية** [1].

ويقول «أوغست كور»: «إن العربية يمكن ان تقدم لفرنسا فوائد جمة لانها كانت لغة **الحديث منذ قرون »، وهو يضيف: «بأن العربية لن تمكن الفرنسيين من فهم الذين** يحكمونهم فقط ولكن ستمكنهم من تذويقهم طعم الحضارة الفرنسية » وتوسع كور في هذا المعنى قائلا: «إن دراسة أدب الجزائريين سيؤدي إلى معرفة عبقريتهم وأصالة فكرهم وشعرهم المؤثر، ومعرفة كتبهم في مختلف العلوم، ومن ثمة معرفة أصول **أفكارهم وأحكامهم وتقاليدهم** »[2].

ومن المفارقات أن الفرنسيين كانوا يؤمنون بضرورة تعلم العربية لأنفسهم، ويمنعون الجزائريين من تعلمها، ولم تكتف **إدارة الاحتلال بذلك، بل راحت تغلق المدارس الحرة** وتضطهد المعلمين الأحرار، وترفض الترخيص لهم بفتح المدارس، **وتقمع الصحف العربية وأكثر من هذا حرضت بعض الاندماجيين** الجزائريين لمهاجمة القومية العربية والوطنية والدعوة إلى الترويج بأن الفرنسية هي لغة الحضارة للجزائريين [3]، **ابتداء من سنة 1931 بعد ظهور** جمعية العلماء المسلمين.

---

1 -سعد الله **أبو القلم**، نفسه، ص 17.
2 -سعد الله **أبو القلم**، نفسه، ص 18.
3 -سعد الله **أبو القلم**،نفسه، ص 26 – 27.

المطلب الثاني: المقاومة الثقافية عند الأدباء والمثقفين الجزائريين.

رغم الحالة السيئة التي كانت تعيشها اللغة العربية، والتي هي أهم مقوم للشخصية الجزائرية، وعماد الثقافة العربية والإسلامية، من جراء عملية التضييق على المدارس والزوايا التي كانت تدرس فيها، من خلال منعها وإغلاق المؤسسات القائمة عليها وتجفيف منابعها إلا أنها بقيت تقاوم من أجل البقاء بواسطة بعض الشخصيات البارزة من الأدباء والمفكرين والمثقفين الجزائريين أمثال: حمدان بن عثمان خوجة (1773 – 1840م)، الذي دخل إلى جانب غيره في مواجهة فكرية مع الاحتلال الفرنسي، طرد على إثرها إلى باريس، ألف كتابه المرآة من ثلاثة أبواب وعدة فصول، تحدث فيه عن جوانب مختلفة من تاريخ الجزائر وسياستها وثقافتها وعاداتها، مركزا على الجرائم الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، مارس نضاله من المنفى ثم انتقل إلى (الآستانة)، رحب به السلطان العثماني «محمود الثاني» إلى أن وافته المنية عام 1840م،عبرّ الكتاب عن روح شخصية فكرية جزائرية فذّة، وعبر عن روح القومية الجزائرية بعمقها الديني والحضاري، حيث يقول: «إنه لمن الصعب عليّ جدّا أن أرى في الجزائر ناحية آمنة يطمئن فيها أبناء وطني [...]، إنني أبصر سكانها التعساء يئنون تحت نير الظلم والإبادة وشتى كوارث الحرب [...]، إن قضية الجزائر لخطيرة جدّا لأنها تتعلق بمصير امة بكاملها [...]، إن تعاسة وطني قد تسببت في قلقي المستمر، وكثيرا ما كنت أثناء تحبيري لهذه التعاسة [في المرآة] مكرها عن إيقاف قلمي لأترك دموعي تسيل»[1].

و إلى جانب كتاب (المرآة)، كتاب (إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء) وقد عكسا معا مواهبه السياسية والفكرية والأدبية، كما عكسا ثقافة دينية وقانونية وطبية.

أما الشخصية الثانية من كتاب هذه المرحلة ومفكريها وأدبائها فكان: «محمد بن العنابي» وهو اسم الشهرة الذي عرف به المفتي الجزائري (محمد بن محمود بن محمد بن حسين) (1775 – 1851 م)، وقد كتب الشعر كما كتب النثر، وله فيه بالخصوص كتابه (السعي المحمود في نظام الجنود) وهو كتاب سياسي عسكري ، عن الحاكم والرعية وإعداد الجيش وحسن السياسة في إدارة شؤون الأمة بالعدل والإحسان، تولى القضاء الحنفي في عهد الداي أحمد باشا، وكان دبلوماسيا وخبيرا بشؤون الدول، دخل في مواجهة مع المحتل عندما

[1] - بن قينة عمر، في الأدب الجزائري الحديث، تأريخا ... وأنواعا ...وقضايا.... وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 16 – 17.

استولى على الشؤون الدينية، وحوّل المساجد إلى مستشفيات فأدخل السجن ثم نفي من الجزائر قبل اية 1831م إلى مصر، استقبل من طرف (محمد علي) حاكم مصر وأسند إليه وظيفة الإفتاء الحنفي في مدينة (الإسكندرية)، وتولى التدريس في (الأزهر)، تتلمذ على يديه تلاميذ من (مصر) و(تونس)و كتابه المذكور آنفا مؤلف من ستة عشر فصلا في اتخاذ الجند وترتيبهم وموقفهم، وضباطهم وفي عقد الأولوية، والتدريب على الأعمال الحربية، وفي اللباس والحزم وحيل الحرب، (وجواز تعلم العلوم الآلية من الكفرة)، (وضرورة اجتماع الكلمة والاتفاق)، وغيرها مثل: (رحمة الضعفاء وإجراء العدل وبذل الحقوق لمستحقيها).[1]

الشخصية الثالثة هي شخصية الكاتب الشاعر: (قدور ابن رويلة) المتوفي سنة 1855م، وقد ولد في الجزائر العاصمة الحافلة قبل الاحتلال الفرنسي بالمثقفين والعلماء والتحق بجيش الأمير عبد القادر بعد سقوط مدينة الجزائر، ثم اتخذه الأمير كاتبا له حتى سنة 1843م وهو العام الذي وقع فيه أسيرا في معركة (طاقين) قرب (الشلالة) بقيادة «دومال» ابن ملك فرنسا (لويس فيليب) ، ثم أطلق سراحه ونفي إلى المدينة المنورة ومن هناك أعاد اتصالاته الكتابية بالأمير عبد القادر فهو شاعر ومجاهد، أما أهم آثاره فهي رسالته التشريعية المستوحاة من الشريعة الإسلاميةكقانون عسكري جاءت في شكل كتاب بعنوان: «وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب»، ويليه «ديوان العسكر المحمدي الغالب» [2].

الشخصية الرابعة هي شخصية الأمير عبد القادر: (1807-1883 م) وهو من جيل النهضة الحديثة في الوطن العربي مسك بزعامة السيف وزعامة الشعر، ظل الأمير عبد القادر خالدا في ذاكرة التاريخ بجهاده ومواقفه الإنسانية، وبأعماله وأثاره الفكرية والأدبية فله في النوع الأول كتابه (المواقف) في التصوف، وله في النوع الثاني رسائله المختلفة وخاصة ديوانه الشعري بعنوان: (ديوان الأمير عبد القادر الجزائري) الذي نشر في الستينات، له قصائد ومقطوعات مختلفة منها: شعر المناسبات المختلفة، وشعر الإخوانيات في حربه أو في أسره أو في غيرهما، وأشعاره في التصوف إلى جانب موضوعين أصيلين جدا في الشعر العربي هما الفخر والغزل[3].

---

[1] - بن قينة عمر، مرجعسابق، ص 18 - 19

[2] - بن قينة عمر، نفسه، ص19 – 20

[3] - بن قينة عمر، مرجعسابق، ص 21 – 23 .

ثم تلت عدة شخصيات وطنية بارزة في العلم والأدب نذكر منها: **الشيخ عبد القادر الماوي** (1848 – 1914 م) الذي كتب رسالة في ثلاثين صفحة سنة (1877م) **بعنوان: «إرشاد المتعلمين»**، بمثابة دعوة إلى الجزائريين بصفة خاصة والمسلمين بصفة عامة إلى اليقظة **والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ونبذ الركود، كما ألف** كتبا في شتى الموضوعات **تناول فيها** بعض الجوانب الاجتماعية والإصلاح الديني، **حيث برز كأستاذ وإمام ومؤلف ومصلح**[1]**، كان له الأثر** البارز في الأوساط الفكرية والشعبية في دروسه ومحاضراته العامة وقد تتلمذ على **يديه** أعلام في الثقافة والتعليم، في مقدمتهم (حمدان الونيسي) **أستاذ (عبد الحميد بن باديس) و كذلك (المولود بن الموهوب)** وغيره، **عمل جاهدا من أجل رقي العربية وصفاء الدين الإسلامي من الخرافات والعادات السيئة**، توفي بمدينة **(قسنطينة) يوم** 06 **أكتوبر** 1914 م **حيث دفن هناك، بعدما خلف آثارا بالغة منها: «إرشاد المتعلمين» وهو كتاب** «في اللغة **والبلاغة»، و«شرح منظومة البدع»، و«تحفة الأخيار فيما يتعلق بالكسب والاختيار» يتعلق** بموضوع الجبر **والقدر، و« القواعد الكلامية »** في التوحيد ومسائله **و**«منظومة في الفلك»، **ومن بين الشخصيات النافذة كذلك شخصية الشيخ (أبو القاسم الحفناوي):** (1852 – 1942م) **صاحب كتاب: « تعريف الخلف برجال السلف»، وهو كتاب حافل بقائمة أعلام فكر وثقافة وأدب** ودين بلغ عددهم (418) [2].

ثم تأتي شخصية (محمد بن أبي شنب) (1869 – 1929 م)، التي تعتبر **من أهم الشخصيات الفكرية والأدبية والجامعية**، سوف نتناولها بشيء من التفصيل فيما يأتي لاحقا **وهي موضوع الدراسة.**

إضافة إلى **«عمر بن قدور الجزائري»**: كان صحفيا وكاتبا وشاعرا بحس وطني وقومي **وإسلام** ناضج، **تاركا بصمات واضحة** في الحركة الصحفية **والأدبية الجادة بروحها العربية** في **أوائل القرن العشرين.**[3]

إلى أن جاءت جمعية **العلماء** المسلمين التي أخذت على عاتقها الإصلاح ونشر **الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة، وتحرير الفكر الجزائري من كل ما يشوبه، و**الوقوف في وجه

---

[1] - بن قينة عمر، نفسه، ص 42.

[2] - بن قينة عمر، نفسه، ص 42 – 45.

[3] - بن قينة عمر، مرجعسابق، ص 52.

الطرقيين الذين أصبحوا أداة طيعة بين أيدي الاحتلال، ونصحت الشعب أن يأخذ العلم من مصادره حيث قال العلامة (عبد الحميد بن باديس): «اخدموا العلم بتعلمه وانشروه وتحملوا كل بلاء ومشقة في سبيله، وليهن عليكم كل عزيز، ولتهن أرواحكم من أجله » حيث التف الشعب حولها، فكانت مدرسة كبرى للوطنية عن طريق صحفها التي لعبت دورا كبيرا في إحياء اللغة العربية وتدعيم الوعي القومي[1].

بفضل حركة الإصلاح تغيرت عقلية النشء، الذي أضحى له أدب من شعر ونثر تماشى والواقع المعاش في جميع جوانبه، وكان هذا الأدب لسان حال الشعب، يعبر عن آلامه وطموحه وأحلامه، كما كان في نفس الوقت ثورة على الآفات الاجتماعية كالجهل والفقر والمرض ، وعلى أعداء الجزائريين من محتلين واعوانهم. [2]

فجمعية العلماء المسلمين كان لها الفضل الكبير في النضال الفكري والثقافي من خلال اعتبارها أن اللغة العربية بمثابة حجر الزاوية في وجودها، يتجلى ذلك في أدبيا ا وجرائدها وخ هب قا دا، ففي سنة 1936 م أثناء المؤتمر الإسلامي الجزائري كانت المطالبة بالحرية الكاملة في تعلم اللغة العربية مع إلغاء كل الإجراءات والقوانين المتخذة ضدها والاعتراف بها لغة رسمية، والكف عن اعتبارها لغة أجنبية[3]، كما نادى نجم شمال إفريقية سنة 1933م بتعلم اللغة العربية إجباريا، حيث نصت كل من المادتين الثانية والسادسة على رسمية اللغة العربية، وعلى التعريب في التعليم وعلى مجانيته في جميع أطواره، كما نادى المؤتمر العام لحزب الشعب الجزائري سنة 1938م بدوره على إجبار الاحتلال بإصدار مرسوم يجعل تعلم اللغة العربية إجباريا عبر مختلف المستويات، كما هو الشأن في المغرب وتونس والمشرق العربي بل طالب أيضا بتأسيس كليه للآداب العربية بجامعة الجزائر، إلى جانب تدريس التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع باللغة العربية، مع تحويل المدارس الثلاث الرسمية إلى جامعات إسلامية تحت إشراف أساتذة مسلمين، إذ تواصل الضغط والمطالبة بالاعتراف باللغة العربية لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية من خلال (البيان الجزائري) الذي صاغه وقدمه فرحات عباس باسم الشعب الجزائري إلى الحلفاء سنة 1943م، وفي القانون الخاص بالجزائر

---

[1] - الطمار محمد، مرجع سابق، ص 268 – 269.

[2] - بن قينة عمر، مرجع سابق. ص 269 .

[3] -سعد الله أبو القاسم، مصدر سابق، ص 25 – 26.

أعلن الفرنسيون سنة 1947م أن تعليم اللغة العربية سيكون إجباريا، ورفعوا عنها صفة اللغة الأجنبية[1].

إضافة إلى الشخصيات والجمعيات والأحزاب التي نادت بجعل اللغة العربية لغة رسمية وطالبت بتعلمها عبر مختلف المراحل والمستويات، لعبت الصحافة الدور نفسه من أجل تثبيت اللغة العربية الفصحى عن طريق الممارسة الفعلية والمناداة بذلك، حيث ظهرت إلى الوجود عدة صحف نذكر منها: النجاح والإقدام والمنتقد والشهاب والبصائر وجرائد أبي اليقظان التي كانت تنشر على اعمدتها المقالة الصحفية ذات الابعاد الإصلاحية والدينية والاجتماعية، نذكر على سبيل المثال: مقالات ابن باديس، والبشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، وأحمد توفيق المدني، ومحمد المبارك الميلي، ومحمدالعاصمي وغيرهم، كما أن للمقالة الأدبية روادها من بينهم؛ رمضان حمود الذي نشر مجموعة من المقالات النقدية حول الأدب والشعر، وحول الجمود والتقليد، والتراث والتجديد، كذلك حمزة بوكوشة الذي أنشأ جريدة باسم «المغرب العربي» في وهران كذلك الشأن إلى أحمد رضا حوحو الذي هاجر إلى الحجاز في الثلاثينات، ولم ينقطع عن الحركة الأدبية في الجزائر، حيث كان يراسل البصائر ويساهم بمجلة «المنهل» بالحجاز[2].

[1] -سعد الله أبو القلسم، مصدرسابق، ص 25 – 26 .

[2] -سعد الله أبو القلسم، نفسه، ص 69 – 74.

المطلب الثالث: المقاومة الثقافية عند ابن أبي شنب.

يعد العلامة ابن أبي شنب أحد أعمدة المقاومة الثقافية الجزائرية الحديثة بالنظر إلى عدة عوامل نذكر منها:

- **اهتمامه بالتدريس فهو الذي كرّس** حياته منذ شبابه إلى **شيخوخته بتعليم التلاميذ وطلبة العلم اللغة والأدب العربيين** عبر مختلف الأطوار التعليمية، **بدءا** من الابتدائي إلى **الجامعي، إدراكا منه بأنه لا سبيل للخلاص من الاستعمار إلا بتعليم النشء اللغة العربية الفصحى،** وما تتضمنه من نحو وبلاغة وأدب، حتى يتم الرجوع إلى **الموروث** الثقافي الأصيل **بعدما حاول الاستعمار القضاء على** هذه اللغة التي ترمز إلى الهوية العربية الإسلامية، **كما** تفترض نظرية المقاومة الثقافية **التخلص** من هيمنة الثقافة الاستعمارية، **وأن** يعود المثقف إلى جذوره الثقافية [1]، **وهو الذي تتلمذ على يديه** الكثير من النوابغ *.

- **ميله** إلى تحقيق كتب لها صلة كبيرة بالتاريخ الثقافي **للجزائر، فهي بمثابة الرجوع** إلى الذات والتي **كانت عرضة للتشويه والتهديم، ونذكر من بين أعماله:** «البستان في علماء تلمسان» **لابن مريم المنشور بالجزائر سنة** 1908م، **وكتاب:** «عنوان الدراية في علماء بجاية» **المنشور بالجزائر سنة** 1910م، **وكتاب:** « **طبقات علماء إفريقية»** لأبي ذر الخشني المنشور مع ترجمة فرنسية، **وكتاب:** «الذخيرة السنية في تاريخ الدول المرينية» **المنشور بالجزائر سنة** 1921م، **تحتوي كلها على موروث** حضاري تاريخي وديني للثقافة الجزائرية .[2]

- **اشتغاله** بحقل الترجمة، **وهذا بفضل معرفته** لعدة لغات أجنبية مع تفقهه في اللغة **العربية،** جعلته يختار نماذج من التراث الثقافي الجزائري والعربي **والإسلامي عن وعي** يترجمها حتى يتسنى للآخر معرفة **عمق الثقافة الأصيلة** لهذا الشعب، **وأن له جذورا عميقة لا يمكن** اقتلاعها، **نذكر من ذلك:** ترجمته **لرسالة الغزالي** في تربية الصبيان، **وهي إشارة واضحة أن الإسلام** صالح **لكل زمان ومكان، وأنه لا يمكن استبدال مناهجه** بمناهج غريبة **عن** المجتمع الجزائري في تربية **أبناء المسلمين،** وفي **هذا تتجلى المقاومة الثقافية وهو يدافع عن الإسلام**

---

[1] - غزالي الهواري **وآخرون**، المقاومة الثقافية مطلع القرن العشرين بالجزائر، **دراسة لترجمة محمد بن شنب** لنص في البيداغوجيا الإسلامية، **محمد بن شنب**، المرجعية الثقافية والبعد الفكري، **أعمال الملتقى الدولي بجامعة الجزائر، مصدر سابق، ص** 20 .

* يعد عبد الرحمان الجيلالي أحد تلامذته، صاحب كتاب " **محمد بن أبي شنب**، حياته **وأثاره** "، الذي قدم فيه الكثير من الشهادات الحية عنه.

[2] - غزالي الهواري، **نفس المصدر، ص** 22 – 23 .

ليس بكونه دينا أو ثقافة فحسب، وإنما بكونه مدرسة ونظاما تربويا،[1] إذ يقول: « إن الدين هو من صنع المدارس عند العرب، وهذه المدارس ولدت من رحم الرغبة في معرفة القرآن وفهمه »، ويقول أيضا في بداية مقدمته: « إن الإسلام ليس عدوا للتربية كما يحب البعض الادعاء بذلك، بل إنه على العكس تماما ينادي من خلال وصاياه بضرورة تكوين الإنسان، والهدف الأول من هذا التكوين لا بد أن يكون في المعرفة بالدين وعلومه الشرعية »[2]، في إشارة منه إلى الاستعمار الذي يحاول تغيير مناهج التربية الإسلامية في الجزائر بمناهج أخرى تخدم أهدافه الاستعمارية، فيرد عليه ابن أبي شنب بأن هذا المجتمع لديه ما يعصمه من الزلل وليس بحاجة لتغيير مقوماته التربوية.[3]

- وقوف بن أبي شنب موقفا بحثيا من أجل إحياء تراث هذه الأمة، وإبراز أصولها وجذورها في وقت عرف فيه العالم العربي قمة الانحطاط، حيث ألف وحقق مجموعة من الكتب ونشر عدة مقالات، وترجم ما أمكن ترجمته، وشارك في عدة مؤتمرات علمية، كل هذا فيه تحدي واضح لوضع صنعه الاستعمار، محاولا إعادة بعث تراث المنطقة وذاكرتها إلى طريقها.[4]

إضافة إلى هذه الأشكال من المقاومة الفكرية والعلمية تتجلى المقاومة الثقافية في لباسه الأصيل، وفي عدم تجنسه بالجنسية الفرنسية، كما يعترف بذلك أصدقاؤه.

فمن يكون هذا الرجل حتى تكون له تلك المواقف و في تلك الظروف؟، وما هي الخلفيات الفكرية والشخصية التي كانت وراء ذلك؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا أن نعرج على جوانب من حياته وتكوينه وخصاله.

---

[1] - غزالي الهواري مصدرسابق ، ص 29 -

2 - Mohamed Bencheneb, notions de pédagogie musulmanes, (résumé d'éducation et . d'instruction enfant aine), revue africaine, vol 41 (1897), p 267.

[3] - غزالي الهواري، نفس المصدر، ص 27 – 28.

[4] - بووشمة الهادي، الفكر، الهوية والتأزم في حياة بن أبي شنب ، قراءة سوسيوجرافية، محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدرسابق، ص 57.

المبحث الثاني: نبذة عن حياة محمد بن أبي شنب.

المطلب الأول: المولد و النشأة.

هو محمد بن العربي بن محمد أبي شنب، ولد يوم الثلاثاء عشرين من شهر رجب سنة 1286 هـ الموافق لست وعشرين من شهر أكتوبر سنة 1869م بحي تاكبو بالمدية، نشأ موقرا مقدما على إخوانه وأقرانه لما امتاز به من الكياسة والاستقامة في الرأي، التحق بالمكتب القرآني تحت إشراف شيخه أحمد برماق، و تعلم اللغة الفرنسية بالمكتب الابتدائي بالمدية إلى أن ارتقى إلى - الكوليج – المدرسة الثانوية، فتخرج منها بعدما تحصل على مبادئ في علم الجغرافية والتاريخ واللغة والحكمة والحساب والطبيعيات وغيرها.

وبعدها سافر بمفرده من المدية إلى العاصمة في سنة 1886م ليلتحق بمدرسة المعلمين ببوزريعة ، لازم أساتذا فأتقن كل ما يدرس في مختلف أقسامها ومراحلها، فتخرج منها أستاذا في اللغة الفرنسية، إضافة إلى حرفة النجارة التي اختارها حسب ما يفرضه نظام الدراسة، إذ يتوجب على الطالب أن يتعلم حرفة من الحرف، كما كان بارعا في الرسم والتصوير إلى أن تخرج منها في شهر جويلية سنة 1888م عن عمر يناهز 19 سنة[1]، وفي شهر أكتوبر من نفس السنة عين معلما بالمكتب الرسمي بمنطقة تسمى حاليا وامري، و التي تبعد بحوالي 30 كلم عن المدية إلى غاية 1892م ليعين بمكتب الشيخ إبراهيم فاتح الرسمي بالجزائر، وفي نفس الوقت كان يتعلم في المدرسة العليا لأخذ اللغة الإيطالية وعلوم البلاغة والمنطق والتوحيد على يد الشيخ عبد الحليم بن سماية صاحب مقولة: «ما علمت في حياتي كلها معلما يرجع إلى تلميذه غيري وأني معترف له بالفضل والنبوغ »، كما تمكن من حفظ اللغة العربية والعلم بآدابها، وأخبار العرب وشعرائها، وتراجم الرجال وأنسابهم وهو قام ملتجئا إلى أساتذته : «باسي»، و«فانيا»، و«كاط»، وابن سديرة في كل ما أشكل عليه.

وفي يوم 19 جوان عام 1894م تحصل على شهادة في اللغة العربية بعد تقدمه للامتحان بالجامعة الجزائرية الفرنسية، وفي نفس السنة ناب عن الشيخ أبي القاسم بن سديرة

---

[1] - الجيلالي عبد الرحمان، محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،سنة 1981، ص 13 – 15

في دروسه العربية بالجامعة لمدة عام، بالتزامن مع مباشرته التعليم بمكتب الشيخ إبراهيم فاتح السابق ذكره.[1]

وفي سنة 1896 م دخل في سلك طلبة (البكالوريا)، فتحصل على شهادتها الاولى وأقبل على القسم الثاني فشرع في تحضير دروس الفلسفة والمنطق، وبعد إصابته بالجدري تخلف عن حضور الامتحان النهائي، وحينأن شوقي غيرّ وجهته نحو درس اللغات الاسبانية والألمانية واللاتينية، ثم تعلم اللغة الفارسية ولغة أجداده وأسلافه التركية على يد أستاذه فانيا كما تعلم العبرانية بعد تعرفه على حبر يهودي وتعلم اللغة الانجليزية وأن جميع اللغات التي تعلمها أتقنها إلى حد موافقة اللهجة وحسن التأدية كأنه أحد أبنائها[2].

وفي يوم 08 من شهر ماي من سنة 1898 م عينته الأكاديمية أستاذا بالمدرسة الكتانية بقسنطينة خلفا عن شيخها العلامة الأستاذ عبد القادر الاوي لتعليم النحو والصرف وعلوم الأدب والفقه.

وفي يوم 19 جانفي 1901معينّ مدرسا بالمدرسة الثعالبية بالعاصمة في مقام الشيخ عبد الرزاق الأشرف الذي تولى القضاء.

و في يوم 15 نوفمبر عام 1903م تزوج بكريمة الشيخ قدور بن محمود بن مصطفى الإمام الثاني بالجامع الكبير.

وفي يوم 07 من شهر ديسمبر من نفس السنة أضيفت له دروس أخرى في علم العروض وترجمة الرسوم الشرعية، والبحث في اللغة الدارجة والمقارنة والتنظير بينهما وبين الفصحى يلقيها بالجامعة، علاوة على الدروس التي كان يلقيها بالثعالبية.

وفي سنة 1904م أسندت إليه دراسة صحيح الإمام البخاري رواية (الحضور) بجامع سفير بالعاصمة. [3]

وفي سنة 1908م ارتقى إلى رتبة محاضر بالجامعة، أين طار صيته في الآفاق واشتهر بين كبار العلماء ومشاهير الكتاب والأدباء، استعان به الكثير من عشاق العلم والتأليف فنال إعجاب به، وكان له عدة مراسلين منهم: العلامة أحمد تيمور باشا بمصر وأعضاء امع

---

[1] - الجيلالي عبد الرحمان، مصدرسابق ، ص 15

[2] - الجيلالي عبد الرحمان، نفسه ، ص 16

[3] - الجيلالي عبد الرحمان، نفسه ، ص 17 - 18

العلمي العربي بدمشق على رأسهم الرئيس محمد كرد علي، وعلامة تونس حسن حسني عبد الوهاب، والعلماء المستشرقون منهم: « كوديرة »، و« ميقويل أسين بلاثيوس» و « كراتشوفسكي »، و« افيونوقريفي » من علماء أوربا والمغرب الأقصى وغيرهم.

وفي سنة 1920م انتخبه المجمع العلمي العربي بدمشق عضوا به، وفي نفس السنة منحته الحكومة الفرنسية الصنف الأول من وسام جوقة الشرف «شوفالي» [1].

وفي سنة 1922م ناقش رسالة دكتوراه دولة التي تحصل عنها من القسم الأدبي من كلية الآداب بجامعة الجزائر [2] بتقدير (مشرف جدا) بعدما ناقش بحثين؛ الأول بعنوان :(أبو دلامة: حياته وشعره)، والثاني بعنوان: الألفاظ التركية والفارسية المستعملة في لهجة الجزائريين».

وفي عام 1924م تم تعيين الدكتور محمد بن أبي شنب بشكل رسمي أستاذا بكلية الآداب بالجزائر، بعدما رشحه أعضاء وهيئة التدريس لهذه الوظيفة خلفا لأستاذه السابق «رينيه باصي »، وبقي يدرس بكل جدية وإخلاص إلى أن وافته المنية في 05 فبراير 1929م بعد مرض قصير أدخله المستشفى، ودفن في مقبرة سيدي عبد الرحمن الثعالبي بحضور جمهور غفير من الجزائريين والفرنسيين [3]، إذ يروي عبد الرحمان الجيلالي عن ذلك اليوم المشهود: «حيث كان يوم جنازته يوما مشهودا حضره رئيس الجامعة ونائبه، ومدير أمور الوطنيين ونائب الوالي العام ونائب العامل، وأساتذة الكليات الأربع بملابسهم الرسمية وباقي مدرسي المدارس والمكاتب، وعميد كلية الآداب، وأعلام البلد وعيونه، وكلهم خرج ماشيا خاشعا خلف موكب الجنازة ... وهناك ألقيت حول جثته الخطب والمراثي باللسانين العربي والفرنسي» [4].

---

[1] - الجيلالي عبد الرحمان، مصدرسابق، ص 18

[2] - ولد لعروسي الطيب – أعلام من الآداب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص 54

[3] - حاخاتي قلسم، مساهمة محمد بن أبي شنب في إحياء تراث الفكر الجزائري والمغاربي والأندلسي، محمد بن بن آبي شنب ، المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدر سابق، ص 112 .

[4] - الجيلالي عبد الرحمان، مصدرسابق، ص 24 – 25 .

المطلب الثاني: خصال ابن أبي شنب.

عرف محمد بن أبي شنب **بعدة خصال نذكر منها: تواضعه وحسن معاملته للناس ومن بين الشهادات المؤكدة لذلك؛ شهادة صديقه السعيد الزاهري، إذ** التقى بالشيخ في شارع **من شوارع العاصمة، وإذا برجل ينادي من بعيد، وكان هذا الرجل ثقيلا ومكروها** إلى الزاهري أشد الكره، رغم هذا فإن الشيخ لبى نداءه واستجاب **لمطلبه بتصحيح منظومات وقصائد،** وصبره عليه ساعة كاملة دون أن يتظاهر عليه بعلم ولا بفهم، **إضافة** إلى ذلك **كان إذا استوقفه** الصغير أو الوضيع فيقف له ولا ينصرف حتى ينصرف السائل، **وإذا** حادثه أحد في **مسألة** من مسائل العلم يجيبه بكل تواضع ودون تعال[1]، كما كان محافظا على لباسه الوطني في حله **وترحاله** وحتى في البلاد الغربية بعمامته وبرنوسه وسراويله العربية[2]، **ملتزما بلغته العربية** حتى يخيل أنه لم يكن **يحسن اللغة الفرنسية تماما**، ومن يراه لا يخطر بباله أنه أمام أكبر **علماء الجزائر**[3]، ولا يتكلم الفرنسية مع بني وطنه بل يتجاهلها أحيانا[4].

وما قاله الشاعر محمد السعيد الزاهري عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمجلة **المقتطف المصرية سنة 1929م تحت عنوان:** «الأدب والعلم في الجزائر: الدكتور محمد بن أبي **شنب»: «** إن محمد بن أبي شنب كان مسلما جزائريا، وجزائريا مسلما في كل شيء: **في عقله وآدابه وأخلاقه وعاداته،** في لباسه وهندامه **».**

و في ما معنى ما شهد به عبد الرحمان الجيلالي عن بساطته **وتواضعه** وسعة صدره وحكمته في صمته وانعزاله عن مخالطته للعامة أنه لا يتكلف في سائر شؤونه الحيوية، وكانت **الحالة المتغلبة عليه هي البساطة** والتواضع في معاملة العامة من الناس دون تعالي فيهش في **وجه كل أحد ومازحه، ولا** يكترث بحوادث الناس مشغولا بنفسه **من أجل طلب العلم وتعليمه** مقلا عن مخالطة الغير، منعزلا عن الجمهور كثير الصمت لا يتكلم إلا **مستنطقا وهذا** حتى لا يظهر بمظهر العالم المبجل، نير **الفكر، سريع الخاطر، ثاقب الذهن، متعصبا لدينه متبصرا فيه** وهو خط أحمر، ولا يقبل فيه مماراة المتفلسفين ولا مسامحة **المتساهلين ... »،**

---

[1] - ولد لعروسي الطيب، محمد بن أبي شنب، دراسات وشهادات، منشورات مديرية الثقافة، المدية، 2009، ص 64 – 65

[2] - الجيلالي عبد الرحمان، **مصدرسابق، ص** 26 .

[3] - **ولد** لعروسي الطيب، أعلام من الآداب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص 59.

[4] - الجيلالي عبد الرحمان، **مصدرسابق، ص** 28.

فبالإضافة إلى عدم مخالطته للغير وانعزاله عن الجمهور، **فهو مشغوف بسماع النكت** وبقولها **والتعليق عليها، مولع بنقل الأمثال العامة** يستشهد بها في محادثته، وله **شغف خاص بما فيها** من غريب التعبير وسبك التركيب، فيأخذ في **إعادة صياغتها من** تقديم وتأخير **بعضها، وتحريف وتصحيف البعض الآخر أحيانا بقصد الانشراح** والترويح عن النفس حتى **تظهر في مظهر حلو غريب،** يستهوي السامع ويطربه، وقد وفق في خلق جو يسمح للسامع في طلب **المزيد دون كلل ولا ملل** غاية التوفيق حتى كان عند ذلك لا يتمالك مجالسه من الضحك **والانبساط، فهو بالمقابل ظريف** في محادثته، **حلو** في مفاكهته، وهذه طريقة مبتكرة عنده حتى يحبب للمتلقي أو السامع البقاء لمدة أطول، يعتمد على طريقة التشويق في إلقاء الدروس.[1]

كما اشتهر بالثقة العلمية، بحسب ما رواه محمد سعيد الزاهري عندما زاره في الجامعة أثناء فترة الامتحانات، **حينها** رأى في فناء الجامعة **فتاة رائعة الحسن والجمال وهي تبكي** بكاء شديدا بسبب رسوبها في الامتحان على يديه، ورغم تبريرها لسبب فشلها، فإنه لم يقتنع بمبرراتها حتى يساعدها، **وقال قولته المشهورة: « ود ت لو أا نجحت، ولكن أسقطتها أمانة** العلم، وما هي قيمة العالم إذ لم يكن ثقة ولا أمينا؟..»[2].

ومن خلاله الكريمة انه لم يكن من الذين يلهثون وراء زخارف الحضارة الغربية وبهرجة **قشورها بالرغم ما عرفه أثناء زيارته لبعض العواصم الغربية، أو يتأثر بمن عرفهم من الغربيين سواء بطريقة عيشهم أو لباسهم أو سلوكيام الحياتية، كما كان لا يشغل باله بالالتفات حول خصومه** ومناهضيه ولا يلقي لهم بالا[3].

فإذا كان محمد بن ابي شنب بهذا المستوى الثقافي والفكري، وبهذه الخصال وبهذه **الصفات الحميدة، فما هو موقف المحيطين به والعارفين له من المثقفين والمفكرين العرب والأجانب؟**

---

[1] - الجيلالي عبد الرحمان، مصر سابق، ص 25-26.
[2] - ولد لعروسي الطيب، محمد بن أبي شنب، دراسات وشهادات، مرجعسابق، ص 67.
[3] -الجيلالي عبد الرحمان، مصدر سابق، ص 29.

المبحث الثالث: مكانة محمد بن أبي شنب عند العرب والأجانب.

المطلب الأول: مكانته عند المثقفين والمفكرين العرب.

لقد عاش طوال حياته محترما ومبجلا بين تلاميذه وأقرانه، وهذا بفضل جده وكده في طلب العلم وتعليمه، وبفضل تواضعه الشديد، حيث نال إعجاب كل من عرفه والتقى به ونكتشف مكانة العلامة من خلال شهادات وآراء قدمت حوله ولا سيما بعد وفاته، ولولا شخصيته القوية المتشبعة بالتعاليم الإسلامية والعربية والوطنية ما كانت لترقى لاهتمام الآخرين به، فأولى هذه الشهادات التي تبرز مكانته المرموقة؛ شهادة محمد السعيد الزاهري الذي يقول عن انقطاعه وخدمته للعلم: « وانقطع الدكتور ابن أبي شنب للعلم، فخدمه خدمات جلية وعمل له عملا صالحا وكان في عمله متواضعا نزيها كما يجب أن تكون كرامة العلم » ويضيف قائلا عن ميله للجانب العلمي على حساب الجانب الأدبي وإن كان الزاهري يريد أن يرى في أعمال ابن أبي شنب المسحة الأدبية لأن الذوق الأدبي له وقع خاص على المتلقي، حتى وإن اعترف له بالدرجة العلمية العالية: « وهو فإن كان أستاذا للآداب العربية في الجامعة الفرنسية بالجزائر ونال شهادة الدكتورة في الآداب فإنه في الواقع عالم أكثر مما هو أديب، وأبحاثه وإن كانت في موضوعات أدبية فهي أبحاث علمية على طريقة علماء المشرقيات، لا تكاد ترى عليها مسحة أدبية، فهي كلها أبحاث في اللغة العربية وفي الأدب العربي، وتاريخه وتاريخ رجاله ...». [1]

تعززت مكانة ابن أبي شنب عند الزاهري عند أول لقاء وأول معرفة له بتونس سنة 1922، خلال امتحانات آخر السنة لامتحان طلبة البكالوريا بكلية الزيتونة حينما كان الزاهري طالبا بهذه الكلية، وكان الاستاذ رئيسا للجنة العلمية المشرفة على امتحان طلبة البكالوريا فكان الزاهري من أشد المعجبين و المسرورين رفقة زملائه العرب و الجزائريين بعلو كعب عالم جزائري يقود لجنة علمية وسط مجموعة من الأساتذة الفرنسيين، ولم يكتف بمجرد الإعجاب، بل شدّه الفضول كي يقف بين يدي هذا العالم الجزائري الذي بقي وفيا لدينه وتقاليده وعروبته من خلال لباسه ومظهره العربي الجزائري، ومن دون أن يتجنس بالجنسية الفرنسية، فكان يوما مشهودا إذ تعالم الناس هذا الخبر ودخلت النخوة و الكبرياء والفرحة

[1] - خرفي صالح،سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب،سنة 1986، الجزائر، ص 134

قلب الطلبة الجزائريين، حيث اجتمعوا عنده في إقامته ليجدوا منه الرجل المضياف المحافظ على دينه وقيمه، ثم يضيف قائلا: « وبينما نحن جلوس عنده إذ حضرت صلاة العصر فقام فصلى النافلة أربع ركعات ثم أقام الصلاة المكتوبة، ولما فرغنا من الصلاة سألته: كيف تصنع إذا أدركتك الصلاة وأنت في جلسة رسمية؟ فقال: أوقف الجلسة للاستراحة فيستريح زملائي بخطوات يمشوها ، وخاشن يشعلوا، وأستريح بأداء المكتوبة وأجد من الراحة في صلاتي مالا يجدون هم في مشيهم وتدخينهم»[1]، وهذا دليل آخر على تمسكه بدينه.

أما مكانة العلامة عند تلميذه عبد الرحمان بن محمد الجيلالي،فتتجلى في كلمة ألقاها على ضريح الفقيد يوم تشييع جنازته وهذا مقطع منها: « من للكتب والمحابر؟ و من للمعلمين و المتعلمين؟ و من للكتّاب و المؤلفين بعد؟، أيها الأستاذ الذي أصبحت عنا راحلا فلطالما عمرت قلوبنا بمعارفك المحققة، وعوارفك المدققة، وبالأمس كنت لنا أنيسا بأخلاقك المهذبة ومستندا صحيحا في علمي المعقول والمنقول ... والآن ها أنت كما ترى وقلوبنا متأسفة على فقدك وعيوننا فائضة بالدمع على أيامك، وأي مقلة لا تصب في مثل هذا اليوم الدمع صبا، وأي كبد يتفطر من خطبك الذي عم القلوب وفات الخطوب ...

يبكيك العلم والأدب، وتبكيك المنابر والمجالس التي كانت تزهو على غيرها بلذيذ دروسكم الشيقة، ومحاضراتكم الرائقة وما علينا في الحال إلا بالصبر والدعاء لك... »[2].

ولعل أصدق تعبير عن مكانة الشيخ محمد بن أبي شنب تتجلى في خطب أعضاء جمعية العلماء المسلمين، نذكر منها القول المشهور للعلامة بن باديس: « إننا لما عرفناه افتقدناه »*، ولهذه الكلمة المختصرة دلالة عميقة عن قدر الرجل العظيم، ومن الخطب البالغة الأثر خطبة رئيس مأتم التأبين في يوم الأربعين للعلامة الشيخ البشير الإبراهيمي التي جاء فيها: «... مات محمد فأسف العارفون لفضله على فضله، وما هو بالذخيرةالمنزورة ولا الحظ المنقوص ولكنه البحر فيضا وسعة جوانب، وأسف المشفقون على هذا الوطن البائس أن ينقصف علمه المفرد وواحد الآحاد فيه قبل أن تتحقق آماله في العلم أو تتحقق آمال العلم فيه »، ومن خلال هذه الفقرة نستنتج أن الشيخ البشير الإبراهيمي متحسر على وفاة أحد

---

[1] - خرفي صالح ،لمرجعسابق، ص 138 – 139 .

[2] - الجيلالي عبد الرحمان ، مصدرسابق ، ص 91 .

* كما قال أيضا: (... وقد كان الفقيد حريصا على أن تظل سمعته في طي الخفاء وهيهات لروح العظمة أن تحجب نورها غيوم التكتم، فأشعتها أنفذ من أن يعكسها حجاب أو يضبطها حسب.)

أقطاب العلم في الجزائر، ليضيف وصف حجم المصاب الجلل وعظمة المصيبة: « مات محمد فايقن زملاؤه وشركاؤه في الصنعة انهم فقدوا بفقده ركنا من اركان العلم الصحيح، وعلما من أعلام التاريخ الصحيح، ومثالا مجسما من الأخلاق العالية والخلال الرفيعة، لا بل فقدوا معيارا من أصدق المعايير لقيم الروايات وعينا لا تغر صاحبها بالسراب »، وكلها عبارات معبرة عن مدى الاحترام والتقدير ويضيف قائلا: « لا بل فقدوا عقلا هذبه العلم وعلما هذبه العقل فأنتجا خير النتائج، لا بل فقدوا مثالا كاملا من حياة العمل والنشاط والعبادة للعلم والفناء في العلم.

مات محمد فلم يخسر تلامذته تعليمه وإرشاده ونصحه واجتهاده فحسب، بل خسروا وراء ذلك الغاية التي يصبون إليها وينتظرها الوطن منهم، وهي الانطباع بطباعه في الذوق، في الأخلاق، في أسلوب البحث، في طراز التفكير، في الاعتماد على النفس، في الانقطاع للعلم والإخلاص له، في الأدب النفسي، في الصبر على العمل وإن شق حتى الوصول إلى النهاية في المحافظة على القومية الصحيحة، في إطراح الخطوط والرعونات، في استخدام البصيرة في كل شأن من شؤون الحياة، في القصد ... والرجل مخلص في أعماله وما نجاحه في حياته العلمية إلا نتيجة إخلاصه، والإخلاص أحوج ما تحتاج إليه ناشئتنا في وقت ذهب فيه الإخلاص ضحية المداجاة والنفاق والغش والمؤاربة، ومجموعها هو الرياء الخادع ، الرجل صبور والصبر مطية النجاح وقوام الحياة كلها ».

في هذه الكلمات صور لنا الصفات الحميدة المثالية التي يتوجب ان يتصف بها الانسان ولا سيما طالب العلم، وهي كلها صفات انطبعت على الفقيد، أما عن أسلوبه في البحث والتحري فيقول عنه: « أما أسلوب البحث العلمي وبناؤه على المحاكمة والنقد فهو ظاهرة الرجل الخاصة به ونعته الصادق... فلا عجب إذا أعجب بذا الفقيد، وهو الذي إذا بحث في هذه المواضيع الشائكة (العلوم الإسلامية) أرضى الحق، وأرضى التاريخ، وأن ناشئتنا لفي شديد الحاجة إلى تلقي هذا النوع من العلم في مبدا نهضتنا العلمية، وإلى الانطباع بهذا الطابع طابع الاستقلال والنقد ... »،[1] وهي شهادة حيّة على قيمة الفقيد العلمية و الفكرية والأخلاقية.

[1] - الجيلالي عبد الرحمان ، مصدرسابق ، ص 115 – 118 .

وتظهر مكانة الرجل أيضا من خلال مراثي الشعراء، وهذا الشاعر محمد الهادي لزاهري السنوسي الذي ألقى قصيدة عبرّ من خلالها عن الفراغ الرهيب الذي تركه العلامة محمد بن أبي شنب، في مأتم **فقيد العلم والأدب والجزائر والشرق** أجمع، والتي نشرت بجريدة **(النجاح)** الغراء في عددها 703 **وهذا مقطع منها:**

رجلا تغرب في الجزائر باحثا ... من عهد نشأته إلى يوم بقي
رجلا تغرب في ذويه بعمله ... **وبعقله و بفكره** و بمنطق
رجلا تحدثك المحابر و المنا ... **بر** والبواخر عنه في عهد الرقي
رجلا تخبرك المجامع **أنه** ... غير العلى و المجد لم **يتعشق**
رجلا تخيره الزمان لشأنه ... فلذاك في حلباته لم يسبق
ر جلا إذا ذكر الرجال يفوقهم ... **بلسانه و بيانه المتألق**
رجلا ستبكيه المشاهد والمعا ... **هد و الفنون بدمعها** المترقرق
رجلا على الإيمان وطد نفسه ... فهو الذي بطش العدى لم يتق
رجلا أرق من النسيم خلاقها ... و من الربيع بزهره المتفتق
رجلا سرت أنفاسه من بيننا ... بسوى الحقيقة و النهى لم تعبق
رجلا بمثوى النجم همة سعيه ... **فهناك بالملأ المخلد يلتقي**
رجلا فقدناه و ليس بهين ... **فقد الحصيف على الفؤاد المشفق**
متواضع في علمه متكبر ... في همه قد سار سير موفق
لا بالخؤون ولا جبان ولا الذي ... في **ملتقى الأقران بالمتملق**
رجلا نحاذر أن يموت وقد أتى ... أجل نحاذره فيعيني **أطبق**[1].

وهناك الكثير من الخطب قيلت، **ومن الأشعار أنشدت بمناسبة حفل تأبينه تدل دلالة واضحة وبكل صدق على قدر الرجل عند الرجال، سواء من الجزائريين أو من باقي الدول العربية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر،** لنبين مكانة الفقيد انها بحاوزت القطر الجزائري إلى ما سواه، وها هو العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي **يعجب أشد الإعجاب** بالعلامة محمد **بن** أبي **شنب لمّا** رآه في مؤتمر المستشرقين في **(أكسفورد) حيث يقول:**

[1] - الجيلالي عبد الرحمان، **مصدرسابق، ص** 120 – 121.

«**الاستعمار شر وشؤم،** ويزيد شره وشؤمه إذا طالت لياليه السود بضعة أجيال كما طال في القطر الجزائري، وما كان الظن في أن تخرج هذه الأرض المستعمرة رجلا من عيار محمد بن أبي شنب، يتقن الفرنسية ولا يغفل **عن الأخذ من علوم العرب والإسلام، أخذ عن المستعمرين** طريقتهم في الدرس، وأساليبهم في البحث ونسج في آداب قومه على منوال **أساليبهم » لا يتوقف الاعجاب عند هذا الحد، بل الاعجاب الشديد والذي شهد به** العلامة محمد كرد علي هو عندما شهده يخطب باللغة الفرنسية في مؤتمر **أكسفورد** للمستشرقين دون أن يتغير أو يغير من شكله، وفي هذا دلالة واضحة أنه استغل تفقهه في **اللغة الفرنسية ل يخ ط ا حول قضايا وطنية وعربية وإسلامية، وهذا قوله: « شاهدته** يخطب بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين في **(أكسفورد)** وهو في لباسه الوطني، **عمامة صفراء ضخمة** وزنار عريض وسراويل مسترسلة ومعطف من صنع بلاده فأخذت **بسحر بيانه** واتساعه في بحثه وظننتني أستمع عالما من علماء السلف جمع الله **له بلاغه القلم وبلاغة اللسان،** ووفر له قسطه من العلم والبصيرة **وقد فطر على ذكاء وفضل غرام بالتحصيل وقيض** له أن يجمع بين ثقافتين **ينبعويفصح بكل لغة يعاينها** كنت أقرأ لصديقي ما نشره بالعربية من **كتب العرب،** وما وضعه من أفكاره مباشرة وأتصفح ما نشره بالفرنسية في أسفار أو مجالات أو معلمات في موضوعات إسلامية عربية،فكان إعجابي بفضله وإكبار **ي لعلمه يزيد مع الأيام،** فلما سمعته يفصح بالفرنسية وهو لم يغير من عاداته ولا من روحه أمام أئمة البيان **ذا اللسان، وهم يدهشون مثلي بم ا يلق ع لى مسامعهم من تحقيقاته ذا الإمتاع تضاعف إكباري له»،**[1] لقد رسم ابن أبي شنب صورة واضحة المعالم، وهي احترامه لنفسه وتعلقه **بمبادئه العربية الاسلامية وانتهاجه طريق العلم الصحيح** مهما كان مصدره، وعلى هذا لاقى الاعتراف والاحترام وتأسف على فقده **كل من عرفه،** وهذا ما جاء في كلمة كرد علي: « ولما فجعت الآداب بفقده،فجعت به فجيعة الصديق بصديقه وودت لو أني لم أعرفه مواجهة **كما كنت عرفته بالمراسلة** لكثرة ما نالني من الحزن عليه، **ورجل من عيار ابن شنب هو فخر أمة ...»**[2].

[1] - **ولد لعروسي** الطيب، محمد بن أبي شنب، دراسات وشهادات، مر سابق، ص 71.

[2] - **ولد** لعروسي الطيب، **نفس الصفحة.**

دون أن ننسى أن له صداقات كثيرة مع بعض أعلام القطر العربي أمثال: **حسن** حسني عبد الوهاب من تونس، **ومولاي عبد الله الفاسي من المغرب،** وأحمد تي**مور من مصر** وغيرهم، فكانت له عندهم مكانة عالية ومحبة متبادلة، هذا عن مكانته عند بني جلدته فماذا عنها عند غيرهم ؟

المطلب الثاني: مكانته عند المثقفين والمفكرين الأجانب.

نال إعجاب الكثير من العلماء **والمثقفين والمفكرين والأكاديميين الأجانب نكتشف** ذلك من خلال الشهادات التي قيلت **حوله، نذكر منها:**

شهادة صديقه المستشرق الفرنسي «ألفريد بيل» في المجلة الاسيوية سنة 1929م **إذ يقول:** «فقد قسم الدراسات الشرقية بكلية الآداب بجامعة الجزائر أستاذا من أنشط أساتذته وأبرزهم، هو محمد بن أبي شنب الذي توفي في 06 فبراير 1929م، وقد شارك في حفل تأبينه الذي أقيم في 07 فبراير كبار الشخصيات الفرنسية الجامعية الإدارية وعدد كبير من **أصدقائه من الفرنسيين والجزائريين.**

وقد ألقيت في مقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي حيث دفن **عدة كلمات تأبينيه لعميد كلية الآداب السيد «مارتينو»، و «إيفر» أحد أساتذة الجامعة، وأيضا لبعض مثلي الإدارة وبعض أصدقاء الفقيد من الجزائريين،**وعبرّ كل من الخطباء عن رأيه في الفقيد مشيدا بمآثره وأجمعوا على أنه كان أستاذا وفيا مخلصا لعمله ولتلامذته، إذ كان العالم الذي لا يكل، **والرجل الخدوم المتسامح، الذي اختفى بعد أن كرس حياته كلها لدراسة اللغة العربية والإسلام، وذلك حسب مفهوم ومتطلبات العلم الحديث»**[1].

ثم تطرق إلى مسيرته العلمية إلى أن قال: « **ونستطيع أن نكرر مع السيد مارتينو** عميد كلية الآداب بالجزائر، حقا أن حياة ابن أبي شنب العلمية جديرة بأن يقدمها النظام **الديمقراطي الفرنسي*** كمثال ودليل على ما يفعله الذكاء والإرادة والعمل في رفع الإنسان من أدنى المراتب إلى أعلاها»[2].

أما عن تعيينه كأستاذ للغة العربية في الجامعة **فقال:** «**بالنسبة لنا عن زملائه الذين** اقترحناه **كأستاذ جدير تتوفر فيه المؤهلات المطلوبة، فقد كان معروفا لدينا منذ وقت طويل** بإنتاجه، ويقدّره المستشرقون الفرنسيون والأوربيون والأمريكيون والآسيويون**، وقد كنا نعرف** أننا لم نحسن الاختيار فحسب، ولكننا عبرنا أيضا عن إرادة فرنسية قوية هي عدم التمييز في **الأصل أو الطبقة الاجتماعية أو العرق أو الدين عند تعيين الأساتذة الجديرين بتعليم الشباب**

---

[1] - الفريد بيل، ترجمة عائشة خمار، محمد بن أبي شنب فقيد العلم، مجلة أشير، بمساهمة الديوان **الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، العدد 2، الجزائر،سبتمبر 2004، ص 11** .

* كان يعتقد بعض الفرنسيين أن أساس تميز محمد بن أبي شنب هو النظام الفرنسي الموصوف بالديمقراطي الذي سمح له بالتميز، فلو كان النظام ديموقراطيا فعلا لأنتج العديد من **أمثال ابن أبي شنب.**

[2] - الجيلالي عبد الرحمان، **مصدر سابق، ص 137 – 138** .

والمساهمة في البحث عن الحقيقة التي تنشدها الجامعات الفرنسية»[1]، وفي هذه الفقرة يتبين للمتمعن أنه بقدر مدح التفوق والتألق الذي ناله الفقيد بإجماع زملائه، هو تعبير أيضا عن امتداح للإدارة الفرنسية كما قال أيضا عن تمسكه بدينه وعروبته ما يلي: «كان ابن أبي شنب مخلصا لدينه ومتمسكا بلباسه التقليدي، ولكي لا يتنكر لتقاليده الإسلامية لم ير من الواجب أخذ الجنسية الفرنسية مما يجبره على التخلي عن الشرائع الإسلامية وعن منزلته الشخصية وبالرغم من كل هذا، فقد كان متشبعا بالثقافة الفرنسية ... لقد رأى أنه من الأفضل ارتباطه بفرنسا وبأساتذته على منوال آخر*، وذلك باستخدام نشاطه الخصب ومعرفته الواسعة، في عمل علمي فرنسي المنهج حول الدراسات الإسلامية في شمال إفريقيا، وقد أضاف السيد « مارتينو » في كلمته بأن ابن أبي شنب لم يكن يفكر أبدا في أن يتملق بكلمات مبتذلة لفرنسا التي أحسنت استقباله، ولو فعل ذلك لاستأنا منه، وكما أنه لم يكن يفكر على الإطلاق في أن يقدم أية تنازلات عديمة الجدوى، ولم نكن نطلب منه ذلك، أن ذكاءه الفطري جعله يدرك بدون مشقة أفكارنا وإحساساتنا العميقة، وكان شاكرا لنا بأن نفهم ونحترم أفكاره وإحساساته»[2]، نفهم من خلال هذه الشهادة الحية أن مكانة ابن أبي شنب لم تكن بسبب علمه فقط، بل لأنه تعلق بدينه وتمسك بعروبته وبتقاليده ووطنيته، ولو خالف ذلك لما كانت له هذه المكانة، ولم يكن ليتملق لفرنسا لأن نفسه الأبية ترفض ذلك، ويضيف قائلا: «إن الإدارة العليا للجامعة قد اعترفت بقيمة ابن أبي شنب عندما عينته في المناصب المرموقة للمدرسة الرسمية والجامعة الجزائرية ، وعندما كلفته لمهمة البحث في إفريقيا الشمالية، وعندما رشحته لنيل وسام الشرف في عام 1922م، وعندما أوفدته في عام 1928م إلى مؤتمر المستشرقين في (أكسفورد) ليمثل العلوم الإسلامية الإفريقية »، بعد الاعتراف بخلاله وبمعدنه الأصيل جاء الاعتراف بجدارته العلمية وبتفوقه، ثم يضيف قائلا: « أما بالنسبة للعلماء المستشرقين في العالم والذين كانت له معهم اتصالات فقد كانوا يجدون فيه الزميل العالم المفضال، والمستعد على الدوام لتقديم الخدمات مما جعله يتمتع بتقديرهم ومودهم، لقد

---

[1] - الجيلالي عبد الرحمان، مصدرسابق، ص 138

*- كان اعتقاد الإدارة الفرنسية أن ابن أبي شنب متشبثا بفرنسا وبسياستها واستنادها في ذلك؛ أنه كان بعيدا عن المناقشات السياسية و المعارك الانتخابية واهتمامه بالنشاط العلمي، فاستفادت فرنسا بسكوته عن هذه النقاشات السياسية، واستفاد هو بخوض النقاشات العلمية والأبحاث الأكاديمية بدون أية عراقيل تذكر.

[2] - الجيلالي عبد الرحمان، نفس المصدر، ص138 – 139 .

ترك موت ابن أبي شنب فراغا كبيرا بين صفوف أصدقائه وزملائه ومن طلاب كلية الآداب وقسم الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر بخسارة عظيمة بفقد هذا الأستاذ»[1].

و أضاف زميله الأستاذ فقال عن تفوقه ومكانته: « ومن الواجب أن نشير إجمالا إلى جميع أعماله حتى يتجلى لنا نشاطه العلمي، فقد كنا نرجع إليه ونستضيء بضيائه وكنا نناديه (شيخنا) فإنه كان يجمع إلى صفات العلم والعالم الحقيقي صفات الصلاح والطيب».

وما قاله الأستاذ «مارتينو» مدير كلية الآداب بجامعة الجزائر وصديق الفقيد يوم تأبينه ما يلي: «... أن السيد بن أبي شنب كان صورة الأديب المسلم الذي عرف كيف يطلع الأساليب الأوروبية في العمل من دون أن يفقد شيئا من صفاته وعاداته وكان يتولى هدايته في العمل أستاذه باصي، فقد تعلم اللاتينية والإنجليزية والإسبانية والألمانية والفارسية والتركية وعرف لوازم النقد العلمي، وقد توجهت عليه الاعترافات بقدره ... وكان ذا صفات تغرس له المحبة في الصدور، وهي كرم النفس وميزة العقول والعفة في الإفصاح عن العواطف والاستقامة التامة... فإذا دنا منه الإنسان فإنه لا يكاد ينساه... وأني أظن أنه من اليوم إلى سنين قليلة سينهض عالم من فرنسا أو من الجزائر ويكتب تاريخ تأليف الفرنسيين والمسلمين في إفريقيا، فابن أبي شنب سيكون زمن هذا التأليف وحينئذ يمكننا أن نقول أحسن مما قلته أنا اليوم، إذا من السهل يومئذ على رجال العلم والعمل مهما تباعدت أقطارهم أن يتألفوا ويتعارفوا ويتحابوا »[2]، إضافة إلى هؤلاء الذين ذكرناهم، كانت لمحمد بن أبي شنب عدة صداقات مع مستشرقين آخرين، في إطار الاحترام وتبادل الأفكار والآراء العلمية والأدبية، نذكر منهم: المستشرق «ليفي بروفنسال»، الذي عرف بكتاباته في مجال الأدب والتاريخ والمستشرق لروسي «كراتشوفسكي» الذي عرف بمواقفه الرزينة، كان أستاذا في جامعة «بيترسبورغ» يدرس الأدب العربي وهو من أهم العارفين به[3].

---

[1] - الجيلالي عبد الرحمان، مصدرسابق، ص 139

[2] - الجيلالي عبد الرحمان، نفس المصدر، ص 107 - 108

[3] - ولد لعروسي الطيب، مرجعسابق، ص 62.

الفصل الأول: التواصل الثقافي من خلال إحياء التراث والترجمة.

إن طبيعة محمد بن أبي شنب العقلية والفكرية وتكوينه الشخصي لم تكن لتختار الصدام أو المواجهة مع الغير سواء كان هذا الغير أفرادا أم جماعات رغم فترة الاحتلال، ولا يعني هذا أنه كان يقبل الذل والخنوع ، بل كان طويل النفس، نافذ البصيرة، يقارع الحجة بالحجة، ولا يستطيع أحد استدراجه لما لا يرغب فيه، وعلى هذا الأساس كان بعيدا عن الصراعات الحزبية والسياسية والانتخابية، بل اختار طريقا آخر للنضال والمتمثل فياكتساب العلم والمعرفة المؤديان إلى النهضة الفكرية والعلمية، وإلى التواصل الثقافي الذي يعني بصفة عامة تبادل الثقافات عن طريق الاتصال بعضها ببعض من أجل التعارف والتحاور والتلاقح خدمة للثقافة المحلية في المقام الأول، ودفعا للنمو والتطور والتجدد حتى تساير الثقافات الأخرى، وتقاوم أسباب الزوال والاندثار، ومن وسائله؛ إحياء التراث من خلال التأليف على منواله، وتحقيق كنوزه، وترجمة نماذج منه إلى لغة الآخر، وذلك من أجل إثبات الأنا وكل هذا كان مدروسا وله أهدافه على عدة مستويات وأبعاد.

كان رجلا محاورا يأخذ ويعطي، يفيد ويستفيد، يؤثر ويتأثر لذلك كان حلقة من حلقات التواصل بين الشرق والغرب، أي بين الأنا الذي يمثل الشرق المكان والزمان والإنسان بماضيه وحاضره ومستقبله والآخر الذي يمثل الغرب بنفس الأبعاد، وفي هذا الفصل نتناول معنى التواصل الثقافي وأهميته، وحركة التأليف والنشر، وحركة تحقيق المخطوطات، وحركة الترجمة، نظرا لأهمية هذه الحركات في تحريك عجلة التواصل الثقافي، واعتقادا منا أن التواصل الثقافي له أعمدة وأساسات ينبني عليها.

المبحث الأول: معنى التواصل الثقافي و أهميته.

المطلب الأول: معنى التواصل الثقافي.

التواصل الثقافي هو تبادل الثقافات الرئيسية أو فروعها و أنساقها، ويعني اتصال الثقافات بعضها ببعض تحاورا أو تعارفا وتلاقحا.

وللتواصل الثقافي شكلان : إما أن يكون تواصلا أفقيا يتم بين ثقافات متزامنة أو بين أقاليم ثقافية معينة، وإما أن يكون تواصلا رأسيا يتم بين الأجيال المتعاقبة لثقافة ما، أو بين فئاتها او طبقاتها المتراتبة اجتماعيا [1].

وخصوصية التواصل الثقافي تبرز في أربع نقاط تشارك في تحديد مفهومه وهي:

- دلالته الشاملة المستوعبة لأغلب مفهومات العمل الثقافي المشترك، التعاون، التكامل الثقافي، التفاعل الثقافي.

- دلالته على عنصري التخطيط والتلقائية بسبب استيعابه لما هو متواصل في مؤشرات الواقع الطبيعي في تاريخ الثقافة، او هو متواصل في مؤشرات خطط التنمية المعمول بها في ا تمع.

- استيعاب هذا المصط لج لجم يع إشك ا لات تمع الحديث، لارتباط مؤشرات الثقافي بالبنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فهو وت ط ه ة الفرد و اموعة،وبالذاتي و الموضوعي، وبالرسمي وغير الرسمي.

- استيعاب هذا المصطلح للدور الوظيفي للثقافة نظرا لأنه يربط الثقافة بوظيفة التواصل وهي وظيفة إنسانية.[2]

---

[1] - حسن المصعبي عبد المالك منصور، - دراسات – التواصل الثقافي العربي – العربي، جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات، 2013، تاريخ آخر تحديث02.01.2013

http://atida.org./makal.php?=69

[2] - تروش حسين، التواصل الثقافي من خلال الترجمة والدراسات المقارنة عند محمد بن أبيشنب، محمد بن أبي شنب، المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدرسابق، ص222.

المطلب الثاني: دور التواصل و أهميته.

يمكن استخلاص بعض الأدوار التي تلعبها عملية التواصل الثقافي نظرا لأهميتها وضرورا باعتبارها؛ عملية حضارية متكاملة، تنمي العقول والنفوس وتطل على آفاق جديدة وإمكانات حديثة ،و لاعتبارها أيضا ضرورة إنسانية كوا هي السبيل الفعال لتحقيق إنسانية الإنسان، وإبراز قوى الخير في نفسه، وهي الوسيلة النبيلة للتعاطي مع المختلفين معرفيا وثقافيا.

- هي ضرورة لكوا وسيلة استيعاب منجزات الآخرين ،و الإطلاع ع لى ثو ام المعرفية و إ مكان ام الثقافية.

- هي التي تحول دون تحول الاختلافات الثقافية إلى ؤر للصراعات والتوترات القاتلة والمدمرة.

- الغاية من التواصل الثقافي ليست الوصول إلى حالة التطابق بين الثقافات، وإنما إلى الحوار والاستيعاب وإظهار المضامين الإنسانية والحضارية للثقافات.

- ضرورة اهتمام القائمين على الشؤون الثقافية للأمة العربية والإسلامية بقضايا ومسائل التواصل والتفاعل مع الثقافات الإنسانية الأخرى.

- هي الكفيلة بمقاومة الجمود والركود وحالة اليأس المغروسة في النفوس.[1]

فغياب التواصل الثقافي يعني التقوقع والانسداد والتخلف، لذلك فإن التواصل يعزز نمو الثقافة وتطورها وتجددها عن طريق تبادل الأفكار وتشجيع الإبداع، ومن خلال هذا النمو والتجدد والتأصيل تتمكن الثقافة من مقاومة عوامل الزوال والفناء، وعلى العكس من ذلك تتنا مى قدرا على البقاء والاستمرار مع الاحتفاظ بالقدرة اللازمة للإيفاء باحتياجات أهلها.[2]

وللتواصل الثقافي عدة نتائج إيجابية على اتمع وعلى الأفراد نذكر منها:

- يعزز المشترك الثقافي ،و يس اهم ع لى تم ا سك اتمع ووحدته، ويقارب بين اتمعات المتواصلة ثقافيا، ويقوي تعايشها.

---

[1]- محفوظ محمد، صروف وأفكار في معنى التواصل الثقافي، تاريخ آخر تحديث، 2013.01.03
http : alriad.com/2009/08/11article451487.hml#

[2]- منصور حسن المصعبي عبد المالك، مرجع سابق

- يكسب أهل المجتمعات المتواصلة ثقافيا تواصلا آخر كالتبادل الاقتصادي والتجاري والسياحي والروابط الاجتماعية وغيرها.

- يدفع بحركة التنمية فيه إلى الأمام مع ازدياد تفجر طاقات المجتمع التنموية.

- كما ينعكس التواصل الثقافي داخل المجتمع إلى الافراد، حيث أن مكانة الفرد الأدبية والثقافية إذا ما تعززت بين الأقران، فهذا معناه أن المكانة الأدبية والثقافية بصورة عامة للمجتمع سوف تتعزز بين المجتمعات الأخرى.[1]

فبعد معرفتنا لمعنى التواصل الثقافي ولأهميته في التقارب بين الثقافات والشعوب، يمكننا طرح التساؤل التالي: ما هي الآليات المستعملة للتواصل الثقافي بين الشرق والغرب المختلفين جغرافيا وحضاريا وثقافيا؟.

[1] - حسن المصعبي عبد المالك منصور، مرجع سابق

المبحث الثاني: حركة التأليف والنشر عند بن أبي شنب.

المطلب الأول: في مجال التربية و التعليم.

لقد سبقت الإشارة في موضع سابق، **أن المستعمر سعى بكل ما يملك من قوة** إلى تخريب المنظومة التعليمية ببلاد المغرب العربي، وتدميرها في سبيل **إحلال** الجهل والانحطاط **الحضاري والفكري** في أوساط سكان المغرب العربي.

كما اعتبر أن قطاع التعليم سلاح إيديولوجي خطير، **يمكن أن يساعد على تدعيم النفوذ الاستعماري، مثلما يمكن أن يكون مصدرا للانقلاب ضد المستعمر، لذلك خضع** التعليم إلى جملة من الثوابت الإيديولوجية والأهداف السياسية من بينها**؛ رفض إعلان فتح أبواب** التكوين في وجه الجماهير العريضة، **وعدم الأخذ بالمبادئ اللائيكية للمدرسة الجمهورية**[1].

ورغم هذه المحاولات الاستع**مارية، إلا أن الله سخر** رجالا أمثال **محمد بن أبي شنب كي يدافعوا عن القيم الوطنية،** وينشروا التعليم على مختلف أطواره ومستوياته وينشروا المبادئ السامية لهذا المجتمع في مجال التربية والتعليم، **حيث أنه كرس حياته للتعليم وتدرج فيه من** الابتدائي إلى الجامعي، كما ساهم في نشر جهود السابقين في مجال التربية **وإخراج أفكارهم** إلى العلن، **مع ترجمة** هذه الأعمال والتعليق عليها، وفي هذا رسالة واضحة تهدف إلى إبراز الأصالة المتجذرة في هذا المجتمع في مجال التربية والتعليم، **وعلى العكس تماما كما يدعي الاستعمار أنه** جاء ليحضر هذا المجتمع البربري، **بل المسلمون أصحاب حضارة وأصحاب علم،** وأصحاب قيم ومبادئ ، ولعل ترجمته لمخطوط: « خاتمة في رياضة الصبيان وتأديبهم **وتعليمهم وما يليق بذلك»** إلى الفرنسية واختياره **لعنوان آخر هو:** (مبادئ التربية الإسلامية) نشره في (**المة الإفريقية**)، **العدد رقم 41 لسنة 1897م،**[2] **مهد** لهذه الترجمة بمقدمة من تأليفه **أكد فيها على أن الإسلام على خلاف ما يدّعي بعض الناس أنه ليس عدوا للتعليم، وعلى** العكس أن التعليم يهدف أساسا إلى معرفة الدين وعلومه الشرعية **وفهم القرآن، و لا يرى أي** مانع في تكوين **الطفل، و أن الدّين هو من أسس**

---

[1] بووشمة الهادي، الفكر، الهوية والتأزم في حياة محمد بن أبي شنب، قراءة **سو**سيوجرافية، مصدر سابق ص 58 – 59.

[2]-Mohamed ben cheneb ,notions de pédagogie musulmane, la revue Africaine, vol 41(1897),pp.267-285.

المدارس عند العرب، وأن أحد المؤلفين العرب يرى في تعليم الصبية مظهرا من مظاهر التقوى، فالقرآن هو الذي يشكل الأفئدة الغضة وينمي الملكات، وليس من العدل القول بأن المؤلفين المسلمين لم يكتبوا شيئا عن تربية الأطفال وإن كانت هذه المؤلفات قليلة، وتوجد في كثير من المؤلفات القديمة صفحات كاملة مخصصة للمبادئ التربوية ضمن فصول كثيرة يصعب جمعها وتنسيقها في عمل موحد كمرجع تربوي[1]

وفيما يخص مصدر تسلمه المخطوطة ذكر بأن صديقا له سلمه إياها، دون ذكر اسمه، و يرى أن كاتب المخطوطة رجل مجهول ونسبه إلى بلاد المغرب، و كانت أمنيته اسقاط الحكم المسبق الشائع القائل: «أن الإسلام لم يقدم نموذجا بيداغوجيا للتربية الكاملة وأنه معاد لتعليم الأطفال من الجنسين » [2]

وفي هذه المقدمة القصيرة رسالة إلى الآخر على أن هذه الأمة لا تحتاج إلى من يعطي لها دروسا في كيفية تربية وتعليم أبنائها، وأن شريعتها السمحة سبقت كل المدارس والأفكار، نستنتج أن الأفكار المطروحة في المخطوط قد سبقت الأفكار والنظريات الحديثة التي جاءت فيما بعد، لذلك لاقت تأييدا من طرف مترجم المخطوط، باعتباره المعلم والمربي والمثقف المزدوج اللغة، المطلع على نمط وقواعد التربية الفرنسية، وباعتبار اهتمامه بمسائل بيداغوجية بحكم ممارسته لمهنة التعليم وبالنظر إلى المسؤوليات التي تولاها ومنها إشرافه على امتحانات البكالوريا ببلدان المغرب العربي.[3]

1- Mohamed Bencheneb, op., cit, pp.267-268.

2- ibid, p.268.

3 - شنوفي محمد، من جهود ابن أبي شنب التربوية، ترجمة مخطوط: ((خاتمة في رياضة الصبيان وتأديبهم وتعليمهم...))، محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدر سابق، 104-108.

المطلب الثاني: في مجال التاريخ والتراجم والسير.

اهتم كثيرا بتحقيق كتب التاريخ والتراجم والسير والتعليق عليها لما تحمله من دلالات واضحة تؤكد على أصالة هذه الأمة، ونذكر على سبيل المثال:أنه اعتنى بتهذيب وترتيب **كتاب** «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان» لابن مريم المديوني التلمساني طبع **بالجزائر** سنة 1908م[1]، **الذي يعد** وثيقة هامة تعين المؤرخ والعالم في التعرف على مجريات **الحياة الاجتماعية والفكرية والعلمية لبلاد المغرب الأوسط، والكتاب** ألف في تراجم الأولياء **والعلماء** مع ذكر بعض الأحداث الجسام التي مرّ بها المجتمع التلمساني كالحصار الذي دام **مدة سبع سنين، واستيلاء النصارى على مدينة وهران، وكذكر بعض العلماء الذين قضوا** نحبهم بداء الطاعون الذي انتشر في **لمد المغرب ومنها تلمسان، مع ذكر للثقافات المختلفة السائدة آنذاك**[2] **وقام بتحقيق كتاب:** « الدراية في علماء بجاية» (لأبي عباس أحمد الغبريني) **طبع منقحا بالجزائر عام** 1910م، **وقدم دراسة** نقدية شاملة لتراجم الرجال المذكورين في **إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي** في شكل مجلد قدمه لمؤتمر المستشرقين **الرابع عشر المنعقد بالجزائر سنة** 1905م [3].

وألف كتابا في تاريخ الرجال الذين رووا صحيح البخاري وبلّغوه للجزائر **واختلاف** طرق الرواية في ذلك، **نشر بالفرنسية سنة** 1905م [4]، كما كتب محمد بن أبي شنب في **الجريدة الآسيوية مقالة بعنوان:** «لمحة عن مخطوط القرن الخامس الهجري المسمى بكتاب **طبقات علماء إفريقية**» لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي القيرواني الإفريقي، **ذكر** أن في المخطوط ثلاثة **كتب تحمل نفس الاسم؛ الكتاب الأول** والثاني من تأليف أبي **العرب، بينما ألف الكتاب الثالث** محمد بن أسد الخشني، **وأوضح أن أبا العرب مذكور** في كتب التراجم الشهيرة مثل تذكرة الحفاظ للذهبي ... وكذلك في كتاب طبقات علماء إفريقية للخشني الموجود في المخطوط، ثم أعطى محمد بن أبي شنب معلومات عن عائلة أبي **العرب** تتلخص في أن جده البعيد تميم التميمي كان من كبار أمراء إفريقيا، وكان أبو هذا الأخير

---

[1] - الجيلالي **عبد الرحمان، مصدرسابق، ص** 31

[2] - كحيل بشير، تحقيق ابن أبي شنب كتاب «**البستان**»لابن مريم : مضمون الكتاب وعمل التحقيق، محمد بن أبي **شنب** ، المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدر سابق ، ص 36

[3] - الجيلالي عبد الرحمان، **مصدرسابق، ص** 31

[4] - الجيلالي عبد الرحمان، **نفس المصدر، ص** 32

عالما فقيها، ومؤرخا شاعرا، ومحدثا معروفا ورد ذكره في كتب التراجم الشهيرة[1] ... رجع محمد بن أبي شنب إلى كتاب طبقات علماء إفريقية لأبي العرب، وصرّح بأنه يتضمن مجموعة تراجم لعلماء ورجال مشهورين، عاشوا في القيروان وتونس منذ الفتح الإسلامي إلى النصف الأول للقرن الرابع الهجري[2].

كما قام بنشر رحلة الشيخ الحسين الورثيلاني بعد التحقيق والتصحيح، طبعت بالجزائر سنة 1908م، ومن الكتب ذات القيمة التاريخية التي اهتم بها ونقحها وصححها وحققها نذكر منها: «الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية» لمؤلف مجهول، طبعها بالجزائر سنة 1920م، وكتاب: (الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية) لابن قنفذ القسنطيني، وقد كان أن ترجم للمؤلف بترجمة مسهبة ونشرت بالفرنسية في كراسة مستقلة طبعت سنة 1928م، وكتاب: (طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين في القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار) تأليف الشيخ محمد العربي المشرفي الغريسي .[3]

وحسب ما ذكره عبد الرحمان بن محمد الجيلالي؛ أنه كان ينوي كتابة تاريخ الجزائر مع التعرض لمختلف الجوانب منها: الجغرافية والطبيعية والاقتصادية والأحوال السياسية والاجتماعية المتعاقبة ، والحالة العلمية وتطورها، وأنساب العائلات القديمة وتراجم أعيانها وقادة الفكر المشهورين، كما كان في نيته أن يفرد كتابا خاصا ببلدة (المدية) مسقط رأسه [4]، وهذه عينات مما كتبه أو أعاد تحقيقه وتنظيمه في هذا المجال.

ومن هذا المقام يتبين لنا بأن محمد بن أبي شنب له باع طويل في معرفة تاريخ هذه الأمة وتاريخ علمائها وأمجادها، وهي رسالة فحواها أن لهذه الأمة تاريخا حافلا بالإنجازات الثقافية والعلمية لا تسعه مجلدات ولا مكتبات، و هذا شكل من أشكال المقاومة الثقافية.

---

[1] - جاخاتي قلسم، مساهمة محمد بن أبي شنب في إحياء تراث الفكر الجزائري والمغاربي والأندلسي، محمد بن أبي شنب، المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدر سابق، 122 .

[2] - جاخاتي قلسم، نفس المصدر، ص 123 .

[3] - الجيلالي عبد الرحمان، مصدرسابق، ص 31 – 32

[4] - الجيلالي عبد الرحمان، نفس المصدر، ص 33

المطلب الثالث: في مجال اللغة و الأدب

كانت له اهتمامات جمة بميدان اللغة والأدب؛ **تحقيقا وتنقيحا وتصحيحا وتأليفا** وترجمة **من** أجل المحافظة على التراث العربي **والإسلامي من كل تحريف أو تزييف.**

يقول عنه تلميذه وصديقه عبد الرحمان الجيلالي ما يلي: «**...وقد علمت فيما مرّ ما كتبه** الشيخ ونشره في فن التاريخ والتربية والتعاليم ، وقد آن أن نبحث عما كتب في بقية العلوم **الأخرى منها:** «تحفة الأدب في ميزان **أشعار العرب»** وهو كتاب فريد في بابه وحيد في فنه لم يؤلف مثله من حيث الجمع والإتقان والضبط، مع وفرة المادة وكثرة الأمثلة والتمارين يحتوي **على** 168 صفحة من القطع الكبير، طبع لأول مرة بالجزائر سنة 1906م، ثم نفذت هذه **الطبعة فزاد فيه الأستاذ ما شاء له علمه من التحسينات الفنية والفوائد العلمية، وطبعه ثانيا بالجزائر سنة** 1928م **».**

وكتب بحثا لغويا تاريخيا في بيان **أصل كلمة «شاشية» ...** وعني بتنقيح معجم العالم **«بوسيبي»** (العربي – **الفرنسي) مع زيادة بعض المواد فيه، وطبع بعد وفاته بالجزائر سنة** 1930م، كما قام بتنقيح وزيادة كثير من المواد **بمعجم «ابن سديرة»** (العربي – **الفرنسي) واهتم أيضا بمعجم هذا** الأخير **(الفرنسي** – العربي) ، وشرع في طبعه فلم يكد يصل إلى **حرف** " B " حتى **أدركه الموت،** [1]وله دور في ضبط روايات كتاب: «تحبير الموشين في التعبير **بالسين والشين »** للفيروز **أبادي،** ونشره مع تعليقات لغوية مفيدة، **طبع بالجزائر سنة** 1327 **هـ، نشر منظومة** «تدميث التذكير في **التأنيث** والتذكير» **للشيخ برهان الدين بن عمر** الجعبري، **طبع بفرنسا سنة** 1911م، **وكتب شروحات وتوضيحات حول كلمة «تليس» بالفرنسية طبع سنة** 1912م، وجمع الرموز الاختزالية في الخط العربي وشرحها، **طبع بالجزائر سنة** 1920م. وله كتاب بالفرنسية بحث فيه عن أبي دلامة وشعره،* **وهو موضوع أطروحته**

[1] - الجيلالي عبد الرحمان، **نفس المصدر، ص** 34 .

*-**إن** اهتمام ابن أبي شنب بأبي دلامة ليس على سبيل الصدفة، بل له ما يبرره بالنظر إلى الظروف التي تتشابه بين ما عاشه الشاعر أبو دلامة في بداية حكم العباسيين المتسم بالاضطراب السياسي والاجتماعي و هو ما يعكسه لنفس الظروف التي عاشها ابن أبي شنب في ظل الاحتلال الفرنسي إضافة إلى غياب حرية التعبير، فكلاهما يبعث برسائل مشفرة للتعبير عن رأيه والمطالبة بحقوقه دون تعريض حياتهما للخطر، ومن جهة أخرى يهدف ابن أبي شنب من وراء هذا الموضوع إلى الاهتمام بالتراث العربي مع ترجمته حتى يكون له صدى واسعا في الأ**وساط** الأدبية العالمية، ينظر يمينة شيكو، خلفية الأصالة والمعاصرة في مؤلفات محمد بن أبي شنب،محمد بن أبي شنب- المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدر سابق،ص 70-71.

التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه، طبع سنة 1922م كما ألف لنفس الغرض كتابه الثاني بعنوان: (الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية) طبع في نفس السنة[1].

كما اعتنى بتحقيق شرح أبي الحجاج يوسف بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري على ديوان علقمة بن عبدة التميمي، فصدّره بمقدمة حافلة في ترجمة الشاعر الجاهلي، وعلّق عليه حواشي جليلة، وقدم استنتاجات سديدة، وتلاه بكراسين ذكر فيهما جملة ما لم يذكر من شعره في الديوان وختمه بأربعة فهارس؛ الفهرس الأول للكلمات المشروحة والثاني لأسماء الرجال والنساء و القبائل، والثالث لأسماء الأماكن والبلدان والجبال و الآبار، والرابع للأبيات والقوافي، طبع سنة 1925م بالجزائر[2]، وألف كتابا بديعا جمع فيه الأمثال العامية السائرة بالمغرب العربي، وشرحها بالفرنسية في ثلاثة أجزاء، وطبع سنة 1907م بباريس، وألف كتابا جمع فيه الألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائريين، وقام بتنظيم الكتب المحفوظة الموجودة بكل من الجامع الكبير والجامع الجديد بالعاصمة، وفهرس كتب كل خزانة مع تقديم وصف لما تحتويه من نوادر الكتب والمؤلفات، طبع منهما ما يتعلق بالجامع الكبير سنة 1909م بالجزائر.[3]

وله كتاب سماه: «المثلثات أو العدد ثلاثة عند العرب» ألفه بالفرنسية طبع بالجزائر سنة 1927م،' و له عدة أعمال في مجال اللغة والأدب من تأليف وشرح وتحقيق، كما خاض في الشعر في مختلف الأغراض باستثناء الهجاء.

ومن ذلك قوله في استنهاض الهمم والأخذ بيد العلم وترك التخاذل حيث قال:

أفيقوا بني عمي برقي المشارف وجدوا وكدوا في اكتساب المعارف
فقد ذهب الأعلام والعلم بينكم ولم يبق إلا كل غمر وخالف
خلت أربع العرفان واستوطن البلى وعق غراب الجهل حقا بشارف
فيا وحشتا من طالب ومدرس ومنشد أشعار وراوي اللطائف

إلى أن قال:

ألا أيها الباكي على فقد دارس وتلو كتاب في أعز المواقف

---

[1] - الجيلالي عبد الرحمن، مصدرسابق، ص 34.
[2] - الجيلالي عبد الرحمان، نفسه، ص 35 .
[3] - الجيلالي عبد الرحمان، نفسه ، ص 36 .

تحسر ولا تبق الدموع بمقلة فإن الدروس الغر طي الكواسف

ويا طالبا علما مجدا لنحوه وما خاق من بعد وجوب التنائف

ألا سر إلى أخرى لنيل مقاصد فقد خابت الآمال عند الحواكف. [1]

وقال أيضا في الحث على الأخلاق الفاضلة :

أحسن إلى من أساء واجتنب قلقا تنل به سكنا في جنة العالي

حاسن أخاك وإن شانت محاسنه واستر عيوبا وكن منها على بال

فالشمس لا تحسد البدر المنير إذا بدا ارا ولا ترى باسدال [2]

وله عدة قصائد وأبيات أخرى أنشدها في عدة مناسبات.

أما عن النثر فأعذب ما قاله، هو ما نجده في رسائله الخاصة، نذكر مقطعا على سبيل المثال ما كتبه إلى حضرة الوزير مولاي عبد الله الفاسي:

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

إلى حضرة سني الشيم سمي الهمم، الجامع بين العلم والسياسة، والفضل والرئاسة والراسخ في المجد الثابت الراسي، مولاي عبد الله الفاسي، الوزير الخطير والفقيه الشهير.

من خادم أهل العلم والأدب، الفقير الحقير محمد بن أبي شنب، أما بعد سلام زاه زاهر، و أكرام واف وافر، وكثير السؤال، عن مرضي الأحوال، فإني عند وصول مالكتكم كان أسفي على ما مضى، كاد يفوق أسفكم على ما قدره الله وقضى...» [3]

ولنا نموذج آخر يعبر عن جمال أسلوبه، وروعة كلماته المختارة متمثل في رسائله إلى العلامة السوري محمد كرد علي، حيث اخترنا الرسالة الثالثة التي كتبها إذ يقول:

« سيدي الرئيس الهمام، أدام الله لنا وجودكم بين العلماء الكرام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتحياته ورضوانه، ما تغنت أطيار البستان وتمايلت أغصانه ، أما بعد فإنني لا أنسى أوقاتا كنتم لي فيها أنسا وإن كانت قليلة، فقد دلتني على سجاياكم السنية، وبرهنت على مزاياكم الأدمعية، وعوارف معارفكم الأصمعية، وأرى من الواجب أن أعيد لحضرتكم الشكر الكثير، والدعاء لكم لكل فضل وخير.

---

[1] - الجيلالي عبد الرحمان،لمصدرسابق، ص 39 .

[2] - الجيلالي عبد الرحمان، نفسه، ص 40 .

[3] - الجيلالي عبد الرحمان، نفسه، ص 44 .

وعند إيابي إلى مسقط الراس، وجدت عددا من مجلة المجمع العطرة الانفاس وبينما كنت أتروى بوصل، وأسرح العين بين ياسمين وفل، إذ لمحت وردة ظهر لي أن فيها شوكا أو **حسكا فحاولت إزالته دركا، فلم أقدر على نزعه بالتمام، وناديت يا رئيس يا إمام يا مشرق يا مغرب، يا من لا يتحجب عنه مطلب:** هذه مسألة مشكلة ونكتة مغلقة مقفلة لا يحلها إلا حبر المشرق **المحقق المدقق.**

إن لم تكن لأخي السؤال **فمن له: يا من صرفت له الرجاء فماله هذا وإن كانت لكم** رغبة في طبع قصيدة ابن دريد مع شرحها في المجلة الغراء، ارسلها إليكم مع جميل الثناء **واعلموا** أن الجميع لا يتجاوز ثماني صفحات، **عدد أبواب الجنات.**

حبيبكم الحميم، (ابن أبي شنب) »[1]، وإن كان الزاهري يعاتب أستاذه على غياب المسحة الأدبية في معظم كتاباته وأبحاثه، وذلك لأن محمد السعيد الزاهري شاعر ميال إلى قراءة **النصوص** ذات الإيقاع الأدبي الجميل. *

ويقول الزاهري : كتب إلي الأستاذ الشيخ عمر راسم كتابا وصف فيه الشيخ المرحوم **وهو من أعرف الناس به فقال:** «... لقد كان رحمه الله **معجما لغويا يمشي،** كثيرا من اللغة التي لم تدون بعد، وكان معنيا بجمع هذه الكلمات الكثيرة، والتراكيب التي **تجري على ألسنة** الأدباء في القديم والحديث ولم تدون في المعاجم، يبحث عنها بحثا مستوعبا ويردها إلى أصول **عربية ردا صحيحا** وكان ينوي ان يجعلها في كتاب يعرضه على المجمع العلمي العربي بدمشق ثم ينشره في الناس كتكملة لمعاجمنا اللغوية ».[2]

ومن هنا يمكن التعليق على ما جاء من أقوال وشهادات سابقة حول اهتمام محمد بن أبي شنب بالجانب اللغوي على حساب الجانب الأدبي، إذ يمكن القول أن اللغة العربية **الفصيحة** كانت محاربة ومستهدفة من طرف الاحتلال الفرنسي كي لا تقوم لها قائمة، **ولعل هذا ما جعله يهتم بالبحث اللغوي** في **المقام الأول، لأن** المسألة مسألة وجود ما دامت هذه اللغة مهددة في وجودها، **حيث سعى ابن** أبي شنب إلى تثبيت اركانها من خلال البحوث

---

[1] -**سعد الله أبو القاسم، من رسائل محمد** بن أبي شنب إلى محمد كرد علي، مجلة أشير، العدد 2**سبتمبر** 2004 الصادرة عن مديرية الثقافة لولاية المدية، بمساهمة الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة، ص 14، و الجيلالي **عبد الرحمان، مصدرسابق، ص** 56 – 57 .

* سبق لنا وأن ذكرنا التعليق الذي أطلقه على كتابات ابن ابي شنب عندما وصفه بأنه عالم أكثر مما هو أديب.

[2] - **خرفي صالح، نفس المرجع، ص** 136.

العلمية في الجوانب اللغوية والأدبية والتاريخية، فهي مسألة البحث عن الذات والصمود أمام سياسة التضييق والمنع لكل ما هو عربي أصيل، وهذا شكل من أشكال المقاومة الثقافية والوقوف في وجه الغزو الفكري و الثقافي، ولأن فرنسا كانت تشجع انتشار اللغة العامية على حساب الفصحى، ولم يتوقف عند هذا الحد، بل كانت له إسهامات كثيرة نتطرق إليها تباعا.

المبحث الثالث: حركة تحقيق المخطوطات.

المطلب الأول: حركة تحقيق المخطوطات في زمانه.

لقد صاحبت حركة تحقيق المخطوطات، حركة الاستشراق، والترجمة، وهذه الحركات تسير جنبا إلى جنب لتبلغ الهدف المنشود، وهو معرفة الإنسان الشرقي العربي المسلم ليسهل الانقضاض عليه، وسلبه من كل مقوماته ومعرفة كوامن تفكيره وأسراره والإطلاع على ماضيه وحاضره للتحكم في مستقبله ، ولاسيما أا تزامنت مع الاحتلال الذي أراد أن يعرف كل شي عن الشعوب العربية عامة والشعب الجزائري خاصة.

ولذلك نجد المستشرق الفرنسي «رينيه باصيه» عند مجيئه إلى الجزائر سنة 1880م يتجول فيها بحثا عن المكتبات والمخطوطات وهي عدة المستشرقين، ترك وصفا لفهارس المكتبات في بعض الزوايا والمناطق، كما استعان ببعض تلاميذه لهذا الغرض[1] فاهتم المستشرقون بالمخطوطات العربية والبربرية فحققوا منها البعض، وكلفوا الجزائريين بتحقيق البعض الآخر، واشتركوا في تحقيق وترجمة بعض المخطوطات الأخرى، ونشرت هذه الأعمال في شكل كتب ووثائق، وأبرز مثال على ذلك ما فعله « هنري ماصيه » وتلميذه ابن أبي شنب، كما اشترك كل من «جورج ماصي» و«الغوثي بوعلي» في تحقيق (روضة النسرين في تاريخ بني مرين)، و«هنري جاهير» و«نور الدين عبد القادر» في نشر (روضة السلوان) للفجيجي، كما اشترك «نور الدين عبد القادر» مع «غبريال كولان» في تسليط الضوء على أعمال عبد الرزاق بن حمادوش[2]، وتعاون «ألفريد بيل» مع «الغوثي بوعلي»- وهذا الأخير كان المدرس الرئيسي في جامع تلمسان الأعظم سنة 1911م - على نشر القسم الأول من الجزء الثاني من كتاب (بغية الرواد) ليحي بن خلدون وهو في تاريخ بني عبد الواد، وهذا العمل يشتمل على النص العربي والترجمة ، الجزء الأول نشر حوالي سنة 1903م واعتمد المحققان على عدة مخطوطات، والقسم الثاني يشمل عهد أبي حمو موسى الثاني إلى حوالي أربع سنوات فقط قبل اغتيال المؤلف يحي بن خلدون الذي كان كاتبا للسلطان أبي حمو، والفائدة كانت لصالح المستشرقين رغم تعاون الجزائريين معهم[3].

---

[1] -سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، دار البصائر، الجزائر، مصدرسابق، ص 29 – 31.

[2] -سعد الله أبو القلسم، نفس المصدر، ص 58 – 59.

[3] -سعد الله أبو القلسم، مصدرسابق، ص 60.

ومن خلال استعراضنا لهذه الجهود من طرف المستشرقين لتحقيق بعض المؤلفات **فرادى أو بمساعدة جزائريين** وخاصة المؤلفات التاريخية ذات البعد الحضاري، **فماهي جهود** محمد بن أبي شنب في هذا الميدان ؟ وهل كانت نية وغاية ابن أبي شنب في تحقيقه **للمخطوطات هي إرضاء المستشرقين و من ورائهم المستعمر مادام أنه شجع على تحقيق المخطوطات لأغراض استعمارية سبق ذكرها**، أم أن له غايات أخرى غير التي **يبحث عنها** المستعمر ومن وراءه؟ **وهذا ما سنجيب عنه لاحقا.**

المطلب الثاني: منهجه في تحقيق المخطوطات

طريقة التحقيق عنده هي مقابلة **ومقارنة أكثر من نسخة**، ووضع مقدمة قصيرة في **وصف طريقة التحقيق**، وأهم جهد كان ابن أبي شنب يقوم به في التحقيق هو **وضع الفهارس؛ فهارس الأعلام، والأماكن، والكتب، والموضوعات**، والشعر، وغير ذلك وهنا تظهر مهارته وطريقته ومساهمته، وكان ابن أبي شنب على عجل؛ **فهو لا يهتم بالتنميق ولا** بالتطويل، وإنما كان يقتصر في الأسلوب على ما قل ودل، **وهو** أقرب إلى العلمي منه إلى الأدبي.[1]

مما يلفت انتباه المطلع على قائمة مؤلفات وأعمال الشيخ محمد بن أبي شنب، هو عنايته الفائقة بتراث الأمة العربية الإسلامية عامة وتراث **الجزائر خاصة، ويظهر ذلك فيما يلي:**

أ - الاهتمام بفهرسة كنوز التراث: **فله ولع شديد بإعداد فهارس علمية تفصيلية دقيقة بواسطتها يتعرف طالب العلم بأهم الكتب والأعمال المطبوعة والمخطوطة المشتملة عليها** مكتبة من المكتبات، في داخل الوطن أو خارجه[2]، حيث يقول عنه تلميذه عبد الرحمان الجيلالي في مؤلفه: (محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره) **ما يلي:** «واشتغل بتنظيم خزانتي **الكتب المخطوطة الموجودة** بالجامعين الكبير والجديد بالعاصمة، فوضع لهما فهرستين كبير**تين وصف فيها كل ما احتوتا عليه الخزانتان من نوادر الكتب والمؤلفات، طبع منهما ما يتعلق بالجا**مع الكبير بالجزائر سنة 1909م »،[3] **لقد سبق لنا وأن أشرنا لذلك من قبل، قام** هذا العمل بمفرده أحيانا **وأحيانا أخرى بمساعدة بعض المستشرقين المعاصرين له، ومثال ذلك عندما قام مع المستشرق ليفي بروفنصال بإعداد فهرس تسلسلي لمطبوعات فاس، نشرته** مة **الإفريقية سنة 1920م**، والذي ساعده على هذا الاهتمام المتزايد بتحقيق التراث **هو:**

1- كون المكتبات في الجزائر وخارجها تزخر بالكثير من المخطوطات، حيث اشتغل الشيخ محمد بن أبي شنب على إحيائها وضبطها، والتأكد من صحتها وإخر**اجها وفق**

---

[1] - **بعلي حفناوي**، جهود محمد بن أبي شنب الرائدة في الترجمة والدراسات الثقافية المقارنة، محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدر سابق، ص 248 .

[2] - **ولد دالي محمد**، ابن أبي شنب في تحقيقه لكتاب الجمل للزجاجي : أهداف التحقيق وسمات المنهج، محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدر سابق، ص 174 .

[3] - الجيلالي عبد الرحمان، **مصدرسابق، ص** 36 .

منهج علمي محكم يعرف بـ: (منهج التحقيق)، استفاد من هذا المنهج حينما اشتغل بدراسة وتدريس علم الحديث.

2- علاقته العلمية بالكثير من المستشرقين* الذين تتلمذ على أيديهم مباشرة في الجزائر مثل: «رينيه باصي» و«فاغنان» و«كات»، أو الذين كانت له معهم صداقات علمية ومراسلات من خارج الجزائر مثل : «كوديرا» و«ميقال أسين بلاثيوس».

3- ثقافته الواسعة والمتنوعة وتجربته الطويلة التي أكسبتها خبرة في تعامله مع كنوز التراث من مختلف الميادين الأدبية والدينية والتاريخية واللغوية وغيرها.

ب- تأثره بالمدرسة التاريخية الفرنسية في البحث و الدراسة والتحقيق، حيث نهجا حداثيا في الدراسات العربية والإسلامية، وبفضل معرفته للغات الأجنبية كما سبق الذكر وإرادته القوية، استفاد من كتب ومناهج المختصين في الدراسات الإسلامية وفي الأدب العربي باللغات الأجنبية، كما انسجم وتآلف مع مناهج البحث والعمل المطبقة من طرف الباحثين الأوروبيين في در اسام، و التي استخدمها في أعماله وبحوثه[1]، ومن هنا يمكننا القول بأن ابن أبي شنب سخّر حياته للعلم فخدمه خدمة واسعة متواصلة من خلال تتبع المخطوطات في الخزائن العامة والخزائن الخاصة، معتمدا على الطريقة العصرية المتمثلة في المقارنة والمقابلة بين نسخ عديدة ومراجعات أصول كثيرة يختمها بفهارس متعددة مفيدة[2]، وبالنظر إلى الجهود المبذولة في مجال تحقيق التراث العربي والمغاربي والجزائري، تتأكد ريادته في نشر التراث العربي بالجزائر، وهو الذي ساهم بقسط كبير في نشر الكثير من المخطوطات العربية، التي كانت تزخر ا خزائن المكتبات بالزوايا والمساجد والمكتبات الخاصة لدى الأهالي والمواطنين، وهي بدورها تمثل المصادر الرئيسية لدراسة تاريخ المغرب الإسلامي في جانبه الحضاري، إذ وفر للباحثين والمهتمين بالترث المغاربي جملة من المصادر اللاز مة لإنجاز البحوث والدراسات.[3]

وللعلم أن الكثير من المخطوطات رغم قيمتها العلمية والمعرفية، أضحت في طي النسيان و الإهمال بسبب انها لم يجد من يعتني بها، فراح ينقب عنها في كل مكان يستطيع

---

* لقد استفاد كثيرا من احتكاكه بالمستشرقين حيث أخذ عنهم المناهج والأساليب العلمية في البحث والتقصي، والصبر وطول النفس في البحث عن المخطوطات المراد تحقيقها، وهذه الصفات كانت ميزة من مميزات المستشرقين.

[1] - بعلي حفناوي، مصدرسابق، ص 248 .

[2] - بعلي حفناوي، نفس المصدر، ص 249 – 250 .

[3] - بعلي حفناوي، مصدرسابق، ص 252 .

الوصول إليه عزّه يرد لها الاعتبار، وفي هذا الصدد يقول عنه عبد الرحمان الجيلالي: « **كان** شيخنا رحمه الله مغرما بجمع الكتب النادرة والنفيسة، مخطوطة كانت أو مطبوعة ويتبع أخبارها حيث كانت ويسعى في استحضارها، **وإن تعذر عليه استحضارها بنفسها طلب استنساخها أو تصويرها** »،[1] **والأمثلة** كثيرة عن ذلك.

[1] - الجيلالي عبد الرحمان، مصدر سابق، ص142.

المطلب الثالث: نماذج من أعماله في تحقيق المخطوطات.

نذكر من بين أعماله في تحقيق المخطوطات التي انتقاها خدمة للتراث العربي والإسلامي منها:

-(البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان) * **لابن مريم،** وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم، **والكتاب هو عبارة عن تراجم لشخصيات علمية ودينية عاشت بتلمسان، كانت** لها وزنا ثقافيا ودينيا **واجتماعيا آنذاك، حيث كانت تلمسان حاضرة ثقافية بأتم** معنى الكلمة، **تعج بالعلماء على اختلاف مشاربهم** وتعدد ميولهم، **وكانت من العواصم الفكرية** في المغرب الإسلامي، ومحط أنظار **الصلاح والفقهاء ورجال الدين،** إلى حين دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر[1]، **ويقول الاستاذالشريف مريبعي** في مقال **له ما يلي:**« إن تركيز محمد بن أبي شنب على التعريف بالأولياء الصالحين **وبالمتصوفة الكبار وببعض العادات الشعبية الجزائرية** من خلال نشره لهذا الأثر، يدخل في صميم هذه المقاومة الثقافية التي جند نفسه لخوض **غمارها** »، ويردف قائلا عن الهدف من تحقيقه لبعض العينات دون غيرها إذ يقول: « إن الهدف العلمي الذي من أجله ألف ابن مريم البستان، هو الهدف نفسه الذي من أجله حقق ابن أبي شنب الكتاب، مع فارق في الجهة التي يستهدفها كل واحد منهما ، فإذا كان ابن مريم يستهدف بمؤلفه طلاب العلم والمريدين ممن يجتمعون حوله في حلقات الدرس فإن محمد بن أبي شنب كان يستهدف العنصر الجزائري القادر على القراءة آنذاك بغية إحالته على مرجعية ثقافية وفكرية ولغوية يس تمد منها قوته وضته، **ويتغلب** بها على واقعه الثقافي المستلب المرفوض، وربما كان يستهدف ايضا فئة المستعمرين، ليدلهم على الخصوصية الثقافية لشعب هذا البلد الذي هيمنوا عليه، وكذا مدى خصوبة هذه **الخصوصية وتجذرها وتنوعها** »[2].

ظهرت طبعة هذا المؤلف عام 1908م عن الثعالبية، وقدم له بهذه العبارات: **«ها** كان الكتاب المسمى البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان للشيخ أبي عبد الله من

---

* جمع فيه ما يزيد عن 206 **ترجمة لعلماء القرون** : الثامن والتاسع والعاشر، فرغ من تأليفه سنة 1011 هـ، ينظر **بعلي حفناوي، مصدرسابق، ص** 250 .

[1] - مريبعي الشريف، تحقيق محمد بن أبي شنب لكتب التراث والقراءة الانتقائية، محمد بن أبي شنب، المرجعية الثقافية والبعد الفكري، **مصدرسابق، ص** 132 – 134

[2] - **مريبعي الشريف، نفسه، ص** 135 .

أعظم المؤلفات في تراجم العلماء والسادات، بادرنا إلى طبعه لتعميم نفعه»، وتتجلى قيمة هذا المؤلف أنه ترجم لاثنين وثمانين ومائة عالم وولي من تلمسان أو من عاشوا ا، إذ ذكر أسماء أمكنة بتلمسان، وما تعلق بالجانب الثقافي والعلمي في المغرب الأوسط، ومنها المعلومات الاقتصادية والاجتماعية [1] .

- (عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية)، مؤلف هذا الكتاب هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، نسبة إلى بني غبري وهي قبيلة بربرية كانت تقطن بمنطقة عزازقة، وصفه العلامة محمد بن أبي شنب بقوله: « العلامة المحقق والفهّامة المدقق، الجامع بين الدراية والرواية، قاضي القضاة ببجاية » .

حقق محمد بن أبي شنب الكتاب ونشره في سنة 1910م، معتمدا على أربع نسخ خطية حسب ما صرح به في المقدمة و هي: «النسخة الأولى للمكتبة الدولية الجزائرية محفوظة تحت عدد 1734م، والثانية للفقيه النبيه سيدي عبد الرزاق الأشرف قاضي بباتنة، والثالثة للعالم العلامة سيدي علي بن الحاج موسى الإمام بمسجد ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر، والرابعة للفقيه النجيب والوجيه الأديب الشيخ سيدي أبي القاسم محمد الحفناوي المدرس بالمسجد الأعظم بالجزائر» [2].

والذين ترجم لهم الغبريني هم علماء بجاية يتوزعون بين شاعر وخطيب وفقيه وصوفي وغيرهم، بلغ عددهم مائة وتسعة وأربعين رجل علم وأدب، عاشوافي المائة السابعة للهجري بمدينة بجاية، لقد أعجب محمد بن ابي شنب بهذا الكتاب إذ يصفه بقوله: « كتاب تلوح أنوار الحقائق من سبيل عباراته، ويعبق شذا عرف المعارف من بيان إشاراته، أورد فيه مؤلفه من تراجم علماء عصره،وأخبار أحبار مصره، ما يحتاجه المتشوق إلى فرائد الفوائد، والمتشوق إلى أوابد العوائد، مع ذكره وفياتهم ومؤلفاتهم وسيرهم في مذاهبهم .... ».[3]

ومن خلال هذين النموذجين، أي كتاب البستان، وكتاب الدراية، يتضح أن محمد بن أبي شنب اختارهما وغيرها من الأعمال المحققة عن قصد ووعي ودراية، رغم أن هناك طلبات من المستشرقين ومسؤولين في ذلك الوقت لتحقيق وترجمة بعض العناوين خدمة

---

[1] - تروش حسين، التواصل الثقافي من خلال الترجمة والدراسات المقارنة عند محمد بن أبيشنب، محمد بن أبي شنب، المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدر سابق، ص 237 .

[2] - مريبعي الشريف، مصدرسابق، ص 136 .

[3] - مريبعي الشريف، نفسه، ص 137 .

لأهداف استعمارية، وهي معرفة العقلية العربية والإسلامية والجزائرية على وجه الخصوص ليسهل السيطرة على الشعوب المستعمرة، إلا أن هدف الشيخ لم يكن كذلك، بل كان له مشروعا ثقافيا يرمي إلى إبراز الخصوصية الثقافية للقطر الجزائري في إطاره العربي والإسلامي وانه كان حريصا على انتقاء كتب ذات قيمة تاريخية وحضارية يعتز بها الجزائري، وهي صفحات من تاريخ ثقافي وعلمي واجتماعي مشرق، وإجابة على المستعمر بأن هذا الشعب له امتداد ثقافي بعيد يرجع إلى قرون خلت، وله حضارة يشهد لها العالم أراد هذا المحتل أن يطمسها وأن يمحوها .[1]

- (تكملة الصلة) لابن الأبار من تحقيق كل من ابن أبي شنب وألفرد بل واستهلا مقالتهما بذكر اسمه الكامل، هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي بكر القضاعي، وهو مؤرخ ومحدث وأديب وشاعر، ينتمي إلى أسرة منحدرة من أندا التي كان يملكها القضاعيون في إسبانيا، ولد سنة 595هـ/ 1199م في بلنسية وقضى فيها شبابه، وتعلم عن مجموعة من الأساتذة ذكرهم في معجمه وقضى أكثر من عشرين عاما يطلب العلم عند أبي الربيع بن سالم شيخ علماء الحديث بإسبانيا، وهو الذي طلب منه أن يكمل صلة ابن بشكوال.[2]

كانت نية الكاتبين البحث عن المخطوط أثناء تواجدهما في شمال المغرب لإنجاز مهمة، والكتاب عبارة عن معجم لتراجم علماء الأندلس، قام بنشره «قوردن» الإسباني طبقا لنص المخطوط الناقص الموجود في إسكيريال، يحتوي على أسماء العلماء المترجمين لهم حسب الحروف الأبجدية، وينقص منهم أسماء العلماء من أ، ب، ت، ث وجزءا من حرف ج وذكرا أن السيدين «آلركون» و«بلانسيا» نشرا تكملات لبعض ما ينقص طبعة «قوردن»، أخذاها من مخطوط حصلا عليه من القاهرة ، وطبعاها في إسبانيا عام 1915م مع فهرست، كما ذكرا انهما بحثا في الحصول على مخطوط كامل لكتاب تكملة الصلة استعاراه من شيخ الطريقة الكتانية والأستاذ بجامعة فاس الشريف سي عبد الحي الكتاني، حيث قاما بنشر مقدمة الجزء الناقص في طبعة قوردن مع ترجمة فرنسية لها في المجلة الإفريقية عام 1918م،

---

[1] مريبعي الشريف، مصدرسابق، ص 137 - 138

[2] - جاخاتي قلسم، مساهمة ابن أبي شنب في إحياء تراث الفكر الجزائري والمغاربي والأندلسي، محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدر سابق، ص 120 .

لاحتوائه معلومات حول منهج المؤلف ومصادره والظروف التاريخية التي أنجزه فيها، واعتبراه أهم جزء في الكتاب لاحتوائه بيانات حول النقاط الأساسية التي يتناولها المؤلف في مقدمته لأخبار قارئه بقيمة كتابه[1].

وفي سنة 1337 هـ/1919 م اشترك محمد بن أبي شنب مع زميله «ألفردبل» في طبع كتاب الصلة مع الجزء الذي كان ينقص في طبعة قدارة، مع وضع تعليقات قصيرة بالفرنسية والعربية في الحواشي، ووضعهما فهرست لأسماء الرجال والنساء ولأسماء الأماكن ولأسماء الكتب، وللأبيات، وتصحيحات للاخطاء المطبعية في نهاية الكتاب، مع نشرهما للتقرير والترجمة الفرنسية للمقدمة. [2]

وهناك طائفة من الكتب المحققة الأخرى نذكر من بينها: كتاب طبقات علماء إفريقية وتونس، سبق التطرق إليه، والذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية 1921م، وكتاب الجمل لأبي القاسم عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي، وهذا الكتاب نال شهرة كبيرة من خلال تدريسه للناشئة في المشرق والمغرب العربيين والأندلس، فهو مصدر من مصادر اللغة العربية في النحو، ومن أهداف تحقيق هذا الكتاب كما ألمح إليه بن أبي شنب؛ المساهمة في إحياء تراث الأمة الإسلامية، وربط الجزائر بحواضر العالم الإسلامي، وإفادة طلبة العلم بمحتوى الكتاب، صدرت الطبعة الأولى سنة 1926م عن مطبعة كربونل بالجزائر[3]، إضافة إلى مؤلفات وكتب أخرى حققها وصححها ورتبها.

ومن هنا نستطيع الإجابة عن تساؤل سابق حول نية وهدف التحقيق عند ابن أبي شنب وهو خدمة التراث الثقافي لهذه الأمة وإبرازه كأحد المقومات الثقافية والحضارية.

---

[1] - جاخاني قلسم، نفس المصدر، ص 121 .

[2] -M. Ben Cheneb et A.Bel, la préface d'ibn El-Abbar à sa takmilata-essila, Revue Africaine, Alger, vol.59, (1918).pp.306-335.

[3] - ولد دالي محمد، مصدرسابق، ص 175 – 176.

المبحث الرابع: حركة الترجمة ودورها في التواصل الثقافي.

المطلب الأول: حركة الترجمة في العهد الاستعماري.

عند دخول المستعمر إلى الجزائر، اصطدم بعقبة كبيرة لمعرفة عقلية وتفكير وعادات وتقاليد الشعب الجزائري ألا وهي عقبة اللغة، حيث بات لزاما عليه أن يستعين في بداية الأمر بمترجمين، وعلى هذا الأساس فإن إدارة الاحتلال اصطحبت معها مترجمين عرب وغيرهم، لأم هم الواسطة بينها وبين السكان الأصليين، كما استعانت بمترجمين من يهود الجزائر، كما مث مدرسة اللغات الشرقية بفرنسا تعد إدارة الاحتلال مؤلاء يتحركون مع الجيش الفرنسي، وبعدها تم تدريس اللغة العربية الفصحى والعامية للفرنسيين لكي يكون في استطاعة هؤلاء الاتصال المباشر مع الأهالي[1]، إلا أن تمكن بعض المترجمين وخاصة من المستشرقين ترجمة بعض الآثار العربية، ومثال ذلك ما قام به «دسيلان» * الذي قام بترجمة مقدمة وتاريخ ابن خلدون على نفقة الدولة الفرنسية.

في بداية الحال كرس المترجمون جهودهم على الدراسات الاجتماعية والأثنية (السلالية) والطبوغرافية للمدن والمناطق، فكتب «جوني فرعون» وإسماعيل «توماس أوربان» عن التيطري، وكتب «كاربت» و«فارنييه» عن قسنطينة ونواحيها، كما اهتم آخرون بالمرأة ومسألة تعدد الزوجات، وقضية الرق في الإسلام والتعصب الديني.[2]

وفي سنة 1894م تأسست لجنة ترجمة الكتب العربية من طرف الحاكم العام «جول كامبون»، الغرض منها هو إعداد وترجمة الكتب العربية إلى اللغة الفرنسية وخاصة الكتب المدرسية، تتألف من أساتذة فرنسيين في اللغة العربية من مدرسة الآداب ومدراء المدارس الثلاث، ومن مترجمين عسكريين تابعين للحكومة العامة، مهمتها ترجمة مجموعة من الكلاسيكيات العربية في الفلسفة والنحو والتاريخ والفقه. [3]

ولم تكتف إدارة الاحتلال بمترجمين أجانب وفرنسيين، بل راحت تستميل بعض الأفراد من الجزائريين، وحسب ما يرى أبو القاسم سعد الله، أن هؤلاء ينقسمون إلى فئتين فئة كانت

---

[1] -سعد الله أبو القاسم، مصدر سابق، ص 10 – 11.

* كلفتة الحكومة الفرنسية بمهمة في الجزائر سنة 1843 – 1845 فقام بأدائها، وأرسل إلى وزير المعارف تقريرا عن مجموعة المخطوطات ذات الأهمية في المكتبات الخاصة بالجزائر، كما سمي مترجما رئيسيا للجيش الفرنسي بالجزائر في أول سبتمبر 1846 .

[2] -سعد الله أبو القاسم، نفس المصدر، ص 47 – 48.

[3] -سعد الله أبو القاسم، نفسه، ص 98.

من أبناء الموظفين لدى الإدارة الفرنسية، وقد مسخت مسخا وتجنس أكثرها بالجنسية الفرنسية ، كما تزوج بعض أفرادها من فرنسيات وطبعوا منقطعين عن المجتمع الجزائري فأصبحوا هم نواة النخبة الاندماجية، أدخلوا في الجيش وفي فرق الترجمة وفي الإدارة، وبعدها جاء الجيل الثاني والثالث تمدرسوا في المدارس الشرعية الفرنسية الثلاث، فمنهم من كان ضمن النخبة الاندماجية ومنهم من كان غير ذلك ، وخاصة من الذين كانت لهم صلة بالقضاء الإسلامي والاتصال الدائم بالمواطنين وهؤلاء كانوا في صف الهوية الوطنية. [1]

لقد أدركت إدارة الاحتلال قيمة الترجمة، لذلك سخرت كل ما تستطيع من وسائل مادية وطاقات بشرية، ومن هنا نتساءل بدورنا عن معنى و مضمون الترجمة، وعن أهميتها في عملية التواصل التي تستفيد منه الشعوب والأمم في عملية البناء الفكري والثقافي والتعايش السلمي بعيدا عن الأغراض غير البريئة التي عمل من أجلها الاحتلال ومن أعانوه في سبيل تحقيق ذلك.

[1] -سعد الله أبو القاسم، نفس المصدر، ص 143 – 144.

المطلب الثاني: الترجمة ودورها في عملية التواصل الثقافي.

الفرع الأول: معنى الترجمة.

هناك عدة تعريفات للترجمة **فمنهم من عرفها بأنها** نقل نتاج لغوي من لغة إلى أخرى وأن الترجمة التي تفي بنفس الغرض في اللغة الجديدة مثلما فعل الغرض الأصلي في اللغة التي **كتبت.**

وانها تعبير بلغة ثانية عن المعاني التي تم التعبير عنها بلغة أولى، أو أن الترجمة هي مهارة تتمثل في محاولة إحلال رسالة أو بيان **مكتوب بإحدى اللغات برسالة أو بيان مكتوب بلغة أخرى ، والمشار إليها بأنها اللغة المستهدفة.** [1]

و هي: المعادل النصي فيما بين نصي اللغة المصدر واللغة المستهدفة، وهذا لا يستوجب التقييد بالمقابل الشكلي بين النصين على مستوى المفردات أو القواعد، ولكن توصيل المحتوى المعادل للنص كله.

وهناك من يرى ان عملية الترجمة باها مطابقة لعملة الرسم إلى حد ما، ويرى ان المترجم يشبه الرسام الذي لا يستخرج كل تفصيل في المنظر وإنما ينتقي ما يبدو أفضل **بالنسبة له،** وعلى ذلك فإنها الروح التي يسعى المترجم لتجسيدها في ترجمتها **الخاصة، وليس** المعنى الحرفي وحسب، ولعل وجهة النظر الأخيرة هذه هي التي دفعت معظم علماء الترجمة إلى الاهتمام بالمعنى وليس بالمفردات اللغوية، ذلك أن الوظيفة الجوهرية للترجمة هي توصيل ونقل ما يمكن أن يشكل معنى ومفهوما لدى المتلقي، وإلا فإنه لا ضرورة للترجمة إن لم تستطع **توصيل** المعنى والقصد[2].

والمتمعن إلى التعريفات والمفاهيم السابقة يتوصل إلى نتيجة مفادها أن للترجمة **مستويين؛** المستوى الأول يتمثل في ترجمة المعنى والمضمون، يليها مستوى الترجمة **اللفظي** واللغوي، إذ تعتبر الترجمة مرحلة أساسية لعملية الاتصال المعرفي **وما يتصل بذلك من جوانب علمية وفنية وأخلاقية،** ومن بين هذه التعريفات المتداولة عن الترجمة:

---

[1]- حسام الدين مصطفى، دور الترجمة والتعريب في تطوير حركة البحث العلمي العربي ليوم 22.05.2011، تاريخ آخر تحديث: 2013.01.05
. http :www.al moltqa.com/vb/showthread.php? 79568

[2] - حسام الدين مصطفى، **نفس المرجع** .

- هي عملية شرح وتفسير ما يقوله ويكتبه الآخر من لغة أخرى إلى لغة المتلقي أو **المستمع.**

- هي جدلية تناصية تربط بين عوالم مختلفة (عامل الكاتب والمترجم والمتلقي) يشترط فيها **الأمان والملائمة، الجودة الجمال، المحاكاة والمغايرة، المعارف واللغات، الحوار والتحاور بين الثقافات واللغات .**

- **هي عملية تجرى على اللغات،** عملية تبديل النص في لغة بنص في لغة **أخرى ويكون واضحا.**

- **هي عملية هدفها تقريب القارئ من الكاتب، وتقريب الكاتب من القارئ.**

- **هي فن وعلم؛ فن لكونا تستلزم شروط الإبداع...** وعلم لضرورة توافر شروط محددة في **علميتها** [1].

أما عن الشروط الواجب توفرها في المترجم حتى يكون عمله يؤدي بالغرض فهي كالآتي:

1-**أن يكون عارفا بلغته الأم وعلمه بدقائقها وظلال معانيها وأساليبها البلاغية والانشائية.**

2-**أن يكون عار**فا باللغة التي ينقل منها وإليها معرفة جيدة وعالما بأساليبها الإنشائية **والبلاغية.**

3-أن يكون عارفا بأوجه الشبه والاختلاف ومادة النص الذي يقوم بترجمته.

4- أن يكون ملما بالموضوع الذي يترجمه وقادرا على حقيقة المعنى المطلوب وإيجاد **المصطلح الموافق، والتمحيص والتدقيق** في صبر وطول **أناة.**

5-**أن يكون عارفا بأسلوب المؤلف وإنشائه وألفاظه وتصوراته وغايته.**

6- أن يكون مستوى أسلوبه في وزن مستوى الموضوع الذي يترجمه.

7- أن لا يحيد عن روح النص والمعنى الذي يقوم بترجمته.

8- **أن يكون متقنا للغتين؛ المنقول عنها والمنقول إليها،وإذا** زادت معرفة المترجم لأكثر من لغة يسهل عليه الترجمة بحسن انطباق المعنى وإيجاد المصطلح[2].

---

[1] - حسام الدين مصطفى ، نفس المرجع .

[2] - معروف يحي، دور الترجمة والمترجمين في حوار الحضارات، مركز النور للدراسات، ليوم 14.07.2009، تاريخ آخر تحديث : 15.12.2012
http ://www.alnooor.se/article.asp.asp ? id=52614.

9-أن يكون متعمقا في جميع خصائص اللغة العربية من صرف ونحو واشتقاق ومفردات وغيره، ومتقنا ومتعمقا للغة الأجنبية المراد الترجمة منها من أفعال وأوزان وصور وغيره.

10-أن يكون أمينا في الترجمة والنقل.

11-أن يكون قادرا على التنسيق والربط بين المعاني والجمل.

12- يكون قادرا على التعبير عن معنى الكلمة الأعجمية بكلمة تعادلها نصا وروحا.

13-أن يكون متقيدا بالأصل ولا يعمل في أسلوبه حذفا واختصارا فيبتعد عن روح كامل المعنى وعمقه الذي يتبعه المؤلف.[1]

من خلال معرفتنا لمعنى الترجمة ومعرفة أهم الشروط الواجب توفرها في المترجم سوف يتضح لنا دورها وأهميتها في عملية التواصل الثقافي.

[1]- معروف يحي، نفس المرجع.

الفرع الثاني: دور الترجمة في عملية التواصل الثقافي.

عرفت الشعوب والأمم أهمية الترجمة إدراكا منها عن دورها الحضاري والثقافي والعلمي منذ فجر التاريخ البشري، ومازالت تقوم به الآن و ستقوم به مستقبلا.

فالترجمة كانت ولا تزال أداة لتواصل الشعوب المختلفة اللغات وقد ظهرت الترجمة كنتيجة للأنشطة الإنسانية منذ بداية المجتمع البشري، وما تضمنته من نشاطات دينية واقتصادية وعسكرية، استطاعت أن تخرج بالشعوب من حدودها الجغرافية لتتفاعل مع جيرانها، إذ كانت الترجمة الشفوية أول مظهر للترجمة قبل اختراع الكتابة أداة للتفاهم بين القبائل والتجمعات البشرية، من خلال الأنشطة التجارية وقت السلم، أو المعاهدات والاتفاقيات التي تظهر في وقت الحرب، كما سبق لها وأن لعبت قديما دورا في نشر التعاليم الدينية والنتاج الفني والأدبي، وساعدت في إحداث التفاعل بين الحضارات القديمة كالبابلية والآشورية والفينيقية والفرعونية والإغريقية .[1]

أما عن حركة الترجمة عند العرب والمسلمين، فتعود إلى العصر العباسي الأول حين ترجم العرب العلوم و الفنون الإغريقية إلى العربية، وهذا بطبيعة الحال بتشجيع من الحكام.

كما أن الترجمة في العالم العربي في العصر الحديث، فتعود إلى بداية منتصف القرن التاسع عشر عندما ترجمت الأعمال الأدبية الأوروبية، ثم انتقلت إلى نقل آداب وثقافات الأمم الأخرى إلى اللغة العربية.

وتتأتى أهمية الترجمة في تيسير حوار الثقافات والأديان، وهي التي تدفع إلى توثيق العلاقات بين الشعوب من خلال تبادل الثقافات والمعرفة بين العالم العربي ومختلف الثقافات كبوابة حضارية بين الأنا والآخر [2].

والأنشطة الثقافية المشتركة هي التي تساهم بشكل أساسي وفعال في التعريف بالآخر وأسلوب حياته وقيمه، وتتصدى للأحكام المطلقة والمسبقة والصور النمطية وهذا بفضل الترجمة طبعا.

---

[1] -حسام الدين مصطفى، مرجع سابق

[2] -هويدا صالح، الترجمة وتواصل الحضارات،الحوار المتمدن، ليوم : 2012.11.05 ، تاريخ آخر تحديث 2012.12.02

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp.?aid=234202.

وتاتي اهمية الترجمة ايضا في كونها الطريق إلى التواصل بين الانا والاخر، إذ تهدف إلى التعرف على آداب وحضارة الآخر، والاطلاع والاستفادة مما صنعه ذلك الآخر والوصول إليه في مجالات الآداب والعلوم والفنون.

كانت الترجمة ولازالت بمثابة الجسر التي تعبر الثقافات من خلاله إلى باقي التمعات من حولها دون أي جواز، فهي التي تلعب دورا كبيرا في خلق الحوار بين الآداب المختلفة وتضييق الفجوة بين مختلف الحضارات والثقافات، وتهيئ الظروف لإيجاد أدب عالمي مشترك.

تبقى الترجمة هي الوسيلة المفضلة للتعرف على ما لدى الآخرين من تقنيات وأفكار مفيدة وغنية، وبالمقابل لتعريف الآخرين على ما لدى الشعوب، بكون الثقافة أخذ وعطاء وليست مسيرة وحيدة الاتجاه.[1]

وبعد أن عرفنا معنى الترجمة وشروطها وأهميتها في عملية التواصل الثقافي، هل أدرك ابن أبي شنب دورها الاستراتيجي، و إلى أي مدى استطاع أن يوظفها لصالح إبراز التراث اللغوي و الأدبي والتاريخي والعلمي للأمة العربية والإسلامية و التواصل مع الآخر؟.

[1] - هويدا صالح، نفس المرجع

المطلب الثالث : دور الترجمة في التواصل الثقافي مع الآخر عند بن أبي شنب

نظرا لأهمية التواصل الثقافي بين الشعوب المختلفة، وما يلعبه من دور في التقارب والتعايش، والاستفادة والأخذ والعطاء، بحيث لا يستطيع أي مجتمع أو أي شعب أن يعيش بمعزل عن العالم الخارجي المحيط به، ونظرا لإدراك ابن أبي شنب لهذا الدور الفعال فإنه اختار التواصل الثقافي عن قناعة بدلا من التصادم والانعزال، وكانت أولى بوادر هذا التواصل هو اهتمامه بدراسة ومعرفة العديد من اللغات، بحيث كانت بمثابة المفتاح الذي يفتح به بوابة العالم الخارجي واتصاله بالآخر، ولان التواصل كفيل بإحداث تغيير ثقافي تنموي في المجتمع، ويعزز مكانة المجتمع الادبية والثقافية بين المجتمعات الاخرى[1].

لا يستطيع أن يقوم بهذا الدور المهم إلا عالم متمرس متفتح على ثقافة الآخر كمحمد بن أبي شنب، الذي استطاع بثقافته الواسعة ومعرفته للغات متعددة، وبذكائه وفطنته أن يكون أحد حلقات التواصل الثقافي مع الآخر، وهو الذي انكب على التنقيب والبحث في تراث الأمة العربية والإسلامية بصفة عامة، والتراث الجزائري بصفة خاصة، ولم يكتف عند هذا الحد، بل راح يعرض هذا الزاد الثقافي على الآخر عن طريق الترجمة إلى اللغة الفرنسية، وهذا للرد على المشككين والجاحدين من بعض المستشرقين وغيرهم من الذين يعتقدون أن الثقافة العربية والإسلامية وتراثها لا يرقيان إلى الثقافة الفرنسية بصفة خاصة والغربية بصفة عامة، وحرصا منه على إظهار التراث العربي و الإسلامي كما يليق بمقامه مستغلا كل فرصة مواتية لذالك.

ومن هذا الاتجاه رسم مساره في إحياء التراث وبعثه من جديد كخطوة أولى، ثم تقديمه ونقله إلى القارئ الغربي بصفة عامة كخطوة ثانية، محاولا التواصل مع الآخر من أجل تصحيح الصورة الرديئة التي رسمها معظم علماء الغرب عن الحضارة العربية والإسلامية، ومن هنا كانت الترجمة إحدى القنوات والوسائط للتواصل مع الغرب[2]، بل هي القناة الرئيسية للتواصل والتبادل الثقافي بين الشعوب، وعلى هذا الأساس سيظل هذا التواصل مرتبطا بالترجمة ومتوقفا عليها، وأي تأخر في الترجمة هو تأخر في التواصل الثقافي حيث يصبح العمل الأدبي والثقافي

---

[1] - تروش حسين، **التواصل الثقافي من خلال الترجمة والدراسات المقارنة عند محمد بن أبي شنب، محمد ابن** أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدر سابق، ص 233 .

[2] - تروش حسين، **نفسه** ، ص 226 .

المترجم **تراثا للإ**نسانية جمعاء، فالترجمة بحق **جسر** للتواصل بين الشعوب والحضارات عبر **التاريخ،** ترعى التقارب الثقافي بين الشعوب وتدحض الصدام، **وتدعم الحوار والتبادل** الثقافي **بين الأمم، وتفتح النوافذ على الثقافات المختلفة.**

لذلك كان ابن أبي شنب يعلم أن التقوقع الثقافي غير مجد، بل هو يعبر عن نقص في **الثقة، وعلى هذا** اختار بعض الكتب والعينات نقلها إلى اللسان الفرنسي، لاها تحمل دلالات كثيرة منها:

- الإشارة إلى القيم الفنية العالمية للتراث العربي القديم.
- تغيير نظرة الرأي العام الغربي للأدب العربي والتراث العربي **بصفة عامة، والذي سبق** ذكره أن بعض المستشرقين عملوا كل ما في وسعهم من أجل تشويهه.[1]
- تقديم الصورة الحقيقية اللائقة عن المجتمع الشرقي للمجتمع الغربي.

أما المنهج المتبع في عملية الترجمة عنده، على رأي أنور الجندي، **فكان**يترجم كل كلمة إلى اللغة الفرنسية، **ومع زيادة** وشرح وتفصيل في بعض الكلمات، **ويقوم باختصار** بعض الكلمات إلى رموزها مثل: رحمة الله **(ح) المصنف (المص) أصلا (أص)**[2].

وللعلم أن الشروط الواجبة توفرها في المترجم التي سبق لنا وأن ذكرناها، تتوفر فيه جميعها، وهذه خاصية من خاصياته، وفضيلة من فضائله **مكنته من الاشتغال** في هذا الحقل **والتوفيق فيه.**

---

[1] - تروش حسين، **مصدرسابق، ص** 227 - 228 .

[2] - تروش حسين، **نفسه، ص** 228 .

المطلب الرابع: نماذج من أعمال الترجمة عند ابن أبي شنب.

لقد قام العلامة محمد بن أبي شنب بترجمة عدة أعمال أدبية وثقافية وتاريخية لمؤلفين **عرب ومسلمين،** وكان دقيقا في اختياراته، نذكر منها: «خاتمة في رياضة الصبيان **وتأديبهم وما يليق بذلك»** لمؤلف مجهول، نشرت في المجلة الإفريقية بالجزائر في سنة 1897م، **إذ نعيد ما قاله** في المقدمة التي ألفها ما يلي: « إن الإسلام ليس عدوا للتربية كما يدعي البعض، **بل على العكس يوحي بضرورة تكوين الإنسان، وهذا التعليم يهدف أساسا لمعرفة الدين والعلوم الشرعية»، ويضيف قائلا: «إن الدين عند العرب هو الذي أسس المدارس، من أجل معرفة وفهم القرآن».**

كما ترجم أيضا: «رسالة حول تربية الأطفال لأبي حامد الغزالي»، نشرت في المجلة **الإفريقية سنة** 1901م، حيث قال عنه في مقدمة الترجمة بأنه من الكتاب المسلمين القلائل **الذين** كتبوا عن تربية الأطفال، ويسمى بحجة الإسلام، وكان محل اهتمام ودراسة لحياته **ومؤلفاته من طرف المؤلفين المسلمين وكذا المستشرقين الأوروبيين،**[1] وهي رسالة واضحة المعالم دفاعا عن الإسلام والمسلمين، وعن القيم الراسخة والمبادئ التي يحملها الدين الإسلامي التي تعنى بالتربية السليمة، ومن جملة ما ترجمه إلى لغة الآخر نذكر أيضا: كتاب لأبي محمد عبد **القادر الفاسي،** «التيسير والتسهيل في ذكر **ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة» تحت عنوان:** «**أحكام المغارسة** في الفقه المالكي» نشرت في المجلة الجزائرية التونسية المغربية في قانون **التشريع بالجزائر** سنة 1895م.

وترجم كذلك ما نظمه الشيخ محمد بن اسماعيل الجزائري في **حرب القوم** التي وقعت **بين** (1854-1856م)، **طبع الكتاب بالجزائر سنة** 1908م وترجم قصيدة في مدح **الرسول صلى الله عليه وسلم : تنسب لأم هانئ مطلعها:**

ما للمساكين مثلي مكثري الزلل... إلا شفاعة خير الخلق والرسل[2].

ترجم إلى اللغة الفرنسية منظومة الحاج محمد بن مسايب التلمساني التي وضعها بالملحون **بمناسبة حجه سنة** (1182هـ / 1768م)، نشرت الترجمة مع الاصل بالمجلة **الإفريقية سنة**

[1]- Mohamed Bencheb, letter sur l'éducation des enfants, par: Abou Hamed El-R'azzali,R Afr, vol.45 (1901), pp.101-110.

[2] - الجيلالي عبد الرحمان، مصدر سابق، ص36.

1900م **بعنوان** : « رحلة من تلمسان إلى مكة »[1]، **و**ترجم عدة مؤلفات أخرى **لم تطبع نذكر منها:**

ترجم ديوان الحطيئة بالفرنسية مع التعرض لترجمة حياته، **وديوان مزاحم العقيلي، ترجم القسم** الثاني من فقه اللغة للثعالبي مع بسط في ترجمة المؤلف، **ترجم متن إيساغوجي** في المنطق، **ترجم** متن شذور الذهب في النحو لابن هشام [2] **...**الخ .

من خلال استعراضنا للاعمال التي قام بها محمد ابن ابي شنب **فيما يتعلق بإحياء** التراث الجزائري في حدوده المغاربي والعربي إبداعا ونشرا وتحقيقا وترجمة، **يتبين للمتمعن أنه** يدرك تمام الإدراك الاهمية القصوى لعملية الترجمة في رسم الصورة الصحيحة عن المجتمع **الشرقي، ونقلها بكل أمانة وصدق دون تزييف للحقائق أو تضليل للرأي العام** الغربي، **إلا أن** شخصية بهذا القدر المعرفي، وبهذا ال**طموح الجامح سوف لن تتوقف عند** حد إحياء التراث وترجمته.

[1] - الجيلالي **عبد الرحمان، مصدرسابق، ص** 36 .

[2] - الجيلالي **عبد الرحمان، نفسه ، ص** 37 .

الفصل الثاني:التواصل الثقافي من خلال؛ الدراسات المقارنة، الاستشراق البعثات والبحوث العلمية، المراسلات.

لم يكتف محمد بن أبي شنب في مسيرته العلمية والأكاديمية بالوقوف عند الموروث الثقافي للمجتمع العربي والإسلامي مؤلفا ومحققا ومترجما، بل كانت له دراسات تطبيقية في الأدب المقارن، وإن لم تكن بالشكل الأكاديمي المتعارف عليه **إلاّ فيما بعد عند المختصين.**

كما كانت له إسهامات في الميدان الاستشراقي من خلال قربه من المستشرقين ومشاركته لهم في مؤتمراتهم، وتأثره بأساليبهم ومناهجهم، وخوضه للمواضيع المتداولة عندهم **وعلى طريقتهم.**

ولما فرض نفسه كعالم عربي مسلم في الأوساط العلمية والأكاديمية؛ **أشرف على عدة بعثات علمية ومسابقات تربوية،** وساهم بعدة بحوث علمية اثرى بها العمل البحثي في مواضيع شتى، وقام بعدة مراسلات لمجلات ودوريات مختلفة لنشر اعماله ومداخلاته وابحاثه العلمية، وفي هذا الفصل نتناول المواضيع المشار إليها أعلاه ونوزعها حسب المباحث التالية:

المبحث الأول: ظهور الدراسات المقارنة نتناول فيه؛ ظهور الدراسات المقارنة في العالم، حقيقة الأدب المقارن، بوادر الدراسات المقارنة عند العرب، بوادر الدراسات المقارنة عند ابن أبي شنب.

المبحث الثاني: مشاركته في مؤتمرات المستشرقين، نعرج فيه على ماهية الاستشراق **تعريفا ونشأة، ووسائل وأه**داف، ثم نتطرق إلى علاقة الاستشراق بالتواصل الثقافي، وبعد الالمام بكل هذه الحيثيات نتناول دور ابن أبي شنب في مؤتمرات الاستشراق.

المبحث الثالث: مشاركته في البعثات العلمية والبحوث الأكاديمية والمراسلات، ونوزع عناصر هذا المبحث إلى **ثلاثة مطالب وهي: انتدابه للبعث**ات العلمية، جهوده في البحوث العلمية الاكاديمية، مراسلاته في المجلات والدوريات، **و**هي سبل من سبل التواصل الثقافي، تدخل ضمن اهتمامات الأدب المقارن وهذا ما سنبرهن عليه.

المبحث الأول: ظهور الدراسات المقارنة.

المطلب الأول: ظهور الدراسات المقارنة في العالم.

لقد مرت الدراسات المقارنة بعدة مراحل تاريخية، بدء من نظرية محاكاة الأدب اللاتيني للأدب اليوناني، حيث دعا الشاعر الروماني هوراس (85-8ق.م) أبناء وطنه الرومانيين بمحاكاة الأدب اليوناني قائلا : «اتبعوا أمثلة الإغريق، أعكفوا على دراستها ليلا و أعكفوا على دراستها ا ارا »، وجاء بعده آخرون نذكر منهم: الناقد الروماني كانتيليان (35-96م) الذي أعلن أن المحاكاة مبدأ من مبادئ الفن لا يمكن الاستغناء عنه للفنان أو الأديب، إذ من واجب المحاكي أن يحافظ على أصالة أدبه القومي وهو يحاكي مع الحفاظ على استقلاليته وأصالته، وكذلك أن يحاكي أحسن الأعمال 1، وهذا الاتصال بين الآداب اليونانية والرومانية وهو ميدان خصب للدراسات المقارنة بفضل التأثير والتأثر، وهي دراسات لم تقم على المنهج العلمي على نحو ما، إلا أنها محاولات مبكرة في ميدان الادب المقارن 2.

وحين حلول عصر النهضة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، بدأ الأدباء الأوروبيين يثورون على التسلط الكنسي بعد تخلف وتدهور، يطالبون بإحياء نظرية المحاكاة السابقة الذكر التي كانت سائدة عند الرومانيين، واضعين نصب أعينهم محاكاة الأدبين اليوناني والروماني، والذي شجعهم على ذلك هو إطلاع بعض أدبائهم على الكنوز اليونانية المترجمة إلى اللغة العربية، ولا سيما ترجمة فلسفة أفلاطون وأرسطو وغيرهما 3 في نصوصهما الجيدة، وبالرغم من المعارضة الشديدة من طرف النقاد المسيحيين إلا أن الرغبة كانت قوية من طرف الأدباء الأوروبيين في تطوير الآداب الغربية، نظرا لما وجدوه في الآداب اليونانية واللاتينية من اتجاهات إنسانية ، وهذا بعد رجوعهم إلى النصوص الأصلية وترجمتها والتعليق عليها، وكان هذا بمثابة ثورة فكرية.

---

[1] - بديع محمد جمعة، دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ط2، بيروت، 1980 ص37.

[2] - عبد الرحمان ابراهيم، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، ا لشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، علم 2000، مصر،ط 1، ص12-13.

[3] - بديع محمد جمعة، مرجع سابق، ص39-40.

كانت جماعة الثريا في فرنسا قد دعت إلى اتخاذ هذه النظرية منطلقا لإغناء اللغة الفرنسية نظريا وتطبيقيا [1]، حيث يقول الناقد «دوبلي» في دفاعه عن اللغة الفرنسية ما يلي: «بدون محاكاة اليونانيين والرومانيين لن نستطيع أن نمنح لغتنا ما اشتهر به الأقدمون من سمو وتألق»، إلى ان يقول عن نهج الرومانيين في محاكاة اليونانيين: « لقد تقمصوا الشخصيات اليونانية بعد أن قتلوهم بحثا وإطلاعا، وهضموهم هضما، فصيروهم رومانيين لحما ودما »، وهذه النظرية لها صلة بالدراسات المقارنة [2]، ولا تعني المحاكاة التقليد أو مجرد الترجمة، وإنما المقصود أن الأديب يقرأ بإحدى اللغتين اليونانية أو اللاتينية، ويفهم أدا لينتج إنتاجا جديدا على إثر هذه القراءة في صورة أدبية جديدة بلغته المحلية، محافظا على أصالته، وهذا هو الهدف الأسمى للأدب المقارن [3] .

وبحلول القرنين السابع عشر والثامن عشر تشبث الأدباء والنقاد بنظرية المحاكاة إلى ابعد الحدود، حيث وضعوا لها قواعد وقوانين يحكم بها على الاداب المحاكاة، ومدى اخذ الأدباء بذا التقنين، حيث أصبحت بمثابة قوالب محكمة يجب على الأديب أن ينتج على منوالها، وهذا ما يسمى بالمذهب أو الاتجاه الكلاسيكي، وشيئا فشيئا جاء القرن الثامن عشر بتغيراته السياسية والاجتماعية، فظهرت دعوات تطالب بوجوب الانفتاح على الآداب الأوروبية الحديثة، ومحاولة محاكاة الجيد منها [4]، فتوثقت الصلات بين الآداب الأوروبية واشتدت حاجة الباحثين إلى التعرف على آداب أخرى كانت مجهولة من قبل كآداب شمال أوروبا والأدب الألماني و الإنجليزي في فرنسا، حيث تعددت الرحلات وكثرت الترجمات الأدبية، واتجه الأدب اتجاها إنسانيا خرج من دائرة القومية الضيقة [5]،كما كان للصحف والمجلات اهمية قصوى في رواج فكرة «عالمية الآداب»، وبالتالي انفتح مجال الدراسات المقارنة على مصراعيه بين نقاد هذا العصر ومؤرخي الآداب [6] .

---

[1] - غنيمي هلال محمد، الأدب المقارن، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، بدون ت ط ،ط الخامسة ، ص23-24.

[2] - غنيمي هلال محمد، نفسه، ص24-25.

[3] - بديع محمد جمعة ، مرجع سابق، ص 42-43.

[4] - بديع محمد جمعة، نفسه، ص 43

[5] - غنيمي هلال محمد، مرجع سابق، ص29.

[6] - عبد الرحمان ابراهيم، مرجع سابق، ص29.

أما عن القرن التاسع عشر الذي فكان مميزا عما سبقه، وذلك بتزامن ظهور الحركة الرومانتيكية والنهضة العلمية، مما أثر في نشأة الأدب المقارن.

أ – الحركة الرومانتيكية: كانت الحركة الرومانتيكية كرد فعل على الصرامة والضوابط التي كانت عليها الكلاسيكية، التي جعلت جميع الآداب الأوروبية تسير في خط واحد فكانت الفروق تكاد تكون معدومة، وبعد نجاح الروماتيكية أصبح أدب كل دولة يتميز عن الأدب الآخر يكتب باللغة المحلية، مما خلق جوا من المنافسة بين آداب هذه الدول كالأدب الإنجليزي والفرنسي والإيطالي والألماني والإسباني، وهذا التنافس جعل مؤرخي الأدب يقبلون على دراسة هذه الآداب كل على حدا، محاولين دراسة مواطن التلاقي والتشابه فيما بينها، مما يعتبر وثيق الصلة بالأدب المقارن 1، ومن رواد هذه الحركة: «مدام دي ستال»، التي دعت إلى قراءة الأدب الألماني والإفادة منه بغية دفع الأدب الفرنسي إلى الرقي والازدهار، كما حاولت أن تقارن بينه وبين الأدب الألماني، مشجعة النقاد إلى إجراء المقارنات والبحث عن مجال التأثير والتأثر، ومدى التوافق والاختلاف 2، ومن رواد الرومانتيكية البارزين أيضا: «سانت بوف» الذي دعا إلى البحث عن عناصر تكوين الكاتب خارج نطاق أمته، إذ قد ينتمي إلى أسرة فكرية عالمية في الآداب الأخرى، وهذا هو جوهر الأدب المقارن 3.

وهناك رواد آخرون لهذا الفكر: أمثال فيكتور هوجو والذي تأثر هو بدوره بشكسبير ودعا إلى السير على مناهج الأدب الإنجليزي الراقي، هذا من جهة ومن جهة أخرى بدأ الادب يقترب من المجتمع بكل اطيافه وطبقاته، على عكس ما كان في الاتجاه الكلاسيكي، كما اقترب من الفرد أيضا، ومحد الاعتز از باللغ ك المحلية والتأل في ا، مما خلق مجالا ملائما للمقارنات الأدبية، وساعد على انتقال الأفكار والأجناس من بلد لآخ ر4

ب – النهضة العلمية: من أهم مميزات القرنين التاسع عشر والعشرين؛ تغير تفكير الناس وطرق نظرهم إلى الحياة، هذا بفضل النهضة العلمية التي أثرت على جميع مظاهر الحياة، ومن أهم النظريات العلمية التي ظهرت وأثرت هي نظرية داروين في التطور وطريقة الاختيار«

---

[1] - بديع محمد جمعة ، مرجعسابق، ص 47-48.

[2] - بديع محمد جمعة ، نفس المرجع، ص49-50.

[3] - غنيمي هلال محمد، مرجعسابق، ص 49.

[4] - بديع محمد جمعة ، مرجعسابق ص 51-52.

النشوء والارتقاء » أين حاول بعض النقاد تطبيقها على الأجناس الأدبية، وفي كيفية ظهور بعضها واندثار البعض الآخر، والاهتمام أيضا في التطور الفكري العام لدى البشرية وكيفية انتقال الفكر من عصر إلى عصر1، حيث يقول: «ارنست رينان»(1823-1892م): «يمكن أن يعد الوعي الإنساني نتيجة لآلاف أخرى من الوعي، تتلاقى كلها مؤتلفة في غاية واحدة، مما دفع النقاد إلى البحث عن أصول الأفكار، و كيفية التكوين الثقافي للأفراد والدول، وهذا من صميم الدراسات المقارنة ونشأة الأدب المقارن.»2 .

ومن أثر النهضة العلمية في نشأة الأدب المقارن؛ اتجاه العلماء إلى المقارنات في شتى أنواع العلوم والفنون: كالتشريع المقارن، وفقه اللغة المقارن، وعلم الحياة المقارن وغيرها ومن هنا ظهرت فكرة إيجاد علم جديد يناسب الدراسات الأدبية، ومن الذين دعوا إلى إيجاد هذا العلم الجديد هو: «إدجار كينيه»الذي عرض عليه في منتصف القرن التاسع عشر كرسي الأدب الحديث في جامعة السربون بفرنسا، فأجاب قائلا: «إنني لأميل إلى تفضيل اسم آخر أعم من الأدب الحديث لئلا يبتعد عن القديم...»، لقد قالوا: «تشريع مقارن» ألا يمكن أن يقال أدب مقارن أو شيء آخر قريب منه يندرج في هذا السبيل؟ 3.

لقد اكتمل معنى الأدب المقارن على يد البحاثة الفرنسي «جوزيف تكست» (1865-1900) أواخر القرن التاسع عشر، الذي يعد أبا للأدب المقارن الحديث حيث انصرف لدراسة الصلات بين الآداب الأوروبية، مع اهتمامه بتطور الأفكار واختلافها على حسب تطور الشعوب واختلاف أحوالها الاجتماعية، واهتمامه أيضا بالإطلاع على الصلات و المؤلفات ومختلف الفنون، إلى جانب النصوص الأدبية التي يقارن بينها .

ومن العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في إيصال الأدب المقارن إلى حد التكامل هو مواطنه «بتز» المتوفى سنة 1903م، الذي دعا إلى وضع بيلوغرافية مفصلة عن كل ما يتصل بهذه الدراسات المقارنة، حيث ألف كتابا سماه «الأدب المقارن – محاولة بيلوغرافية»

1- بديع محمد جمعة ، مرجع سابق،ص.53

2- غنيمي هلال محمد، مرجع سابق، ص 52-53

3- بديع محمد جمعة، مرجع سابق، ص 54

نشره لأول مرة عام 1897م، ثم أعيد نشره من طرف أحد تلاميذه سنة 1904م بعد وفاة مؤلفه 1.

أما عن مصطلح الأدب المقارن فيرى بعض الدارسين و النقاد أنه يرجع إلى العقد الثالث من القرن التاسع عشر، عندما ألقى «أبل فيللمان» محاضرات في السربون حول علاقات الأدب الفرنسي بالآداب الأوروبية، استعمل مصطلح «الأدب المقارن»، وإليه يعود الفضل في وضع الأسس الأولى لمنطقه ومنطقته، وتعد فرنسا المهد الأول للأدب المقارن وبعد «فيللمان»، جاء الدور على «جان جاك أمبير» الذي ألقى محاضرات في الأدب المقارن بمرسيليا، وبعدها بسنتين انتقل إلى باريس وألقى محاضرات حول علاقات الأدب الفرنسي بالآداب الأجنبية، وفي سنة 1835م برزت مقالات «فيلاريت شال» في مجلة باريس مؤكدة العلاقات المتينة بين الآداب الأوروبية 2، وهكذا تطور المصطلح واستقر على هذه التسمية بعدما كانت عدة تسميات نذكر منها: «تاريخ الأدب المقارن» عند «بول فان تيغم»، وتاريخ العلاقات الأدبية الدولية عند «ماريوس فرانسوا غويار»، وغيرها من التسميات 3 .

ومع اية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ازداد نشاط أساتذة الأدب المقارن أمثال: «جوزيف تكست» الذي حاضر في الأدب الأوروبي في جامعة ليون سنة 1896م، وخلفه «فرنان بالدلنسبرجيه» صاحب كتاب «غوتة في فرنسا» الذي سمي أستاذا في السربون للأدب المقارن سنة 1910م، وبعدها ظهرت مجالات وفهارس 4.

ولم يقتصر ظهور الأدب المقارن في فرنسا فقط، بل تعداه إلى كل من ألمانيا فكان من رواده : مورهوف، وشميدت، وكاريير، دخل نطاق الدراسة المنظمة بفضل ماكس كوخ الذي أصدر مجلة «الأدب المقارن» وعن تدريسه في الجامعة تم مطلع القرن العشرين أما في إيطاليا فإنه تم إنشاء كرسيا له في جامعة نابولي عام 1861م، ولم يلق الترحيب بسبب النزعة القومية آنذاك،

1- بديع محمد جمعة ، نفس المرجع ص 57.

2- سليم الخطيب عماد علي، في الأدب الحديث ونقده، عرض وتوثيق وتطبيق دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،ط1، عمان، الأردن، 2009، ص 157-.

3- سليم الخطيب عماد علي، نفسه ، ص 156.

4- سليم الخطيب عماد علي، نفسه ، ص 162.

وبصفة عامة يمكن القول أن الأدب المقارن في القارة الأوروبية و العالم كله انتعش ابتداء من ستينات القرن العشرين، وذلك تزامنا مع ازدياد نشاط الرابطة الدولية للأدب المقارن 1.

أما عن ظهور وتطور الأدب المقارن في أمريكا، فبالرغم من دخولها المتأخر في هذا الحقل ظلت دراسات الأدب المقارن مختلطة بالأدب العام والروائع في العشرينيات إلى غاية الأربعينيات، أين بدأ يتميز مصاحبا ظهور مجلات للأدب المقارن في عدة جامعات، كما تم صدور المد الأول من «الكتاب السنوي للأدب العام والمقارن» من جامعة نورث كارولينا عام 1952م، ومنذ ذلك الحين تنوعت الكتب الجامعية في هذا التخصص بين النظرية والتطبيق 2.

هذا عن الإرهاصات والبدايات الأولى عن ظهور الدراسات المقارنة في العالم، فماذا عنها في الوطن العربي بصفة عامة، وفي الجزائر خاصة وتحديدا عند محمد بن أبي شنب لعدة اعتبارات منها: باعتبار ثقافته الواسعة ومعرفته للغات متعددة، وباعتبار أنه أستاذ جامعي وقريب من الأوساط الجامعية و فئة المستشرقين والمثقفين من مختلف أنحاء العالم، واعتبار أنه قام بعدة رحالات وزيارات داخل الوطن وخارجه؟ هذا ما سوف نتعرف عليه تباعا.

ولكن قبل التطرق لذلك، لابد لنا من معرفة حقيقة الأدب المقارن بعد نضج الفكرة وانتقالها من بلد لآخر.

---

[1]- سليم الخطيب عماد علي، مرجع سابق، ص 163-164

[2]- سليم الخطيب عماد علي، نفس المرجع،ص 164-165

المطلب الثاني: حقيقة الأدب المقارن

الأدب المقارن هو فرع من فروع المعرفة يتناول المقارنة بين أدبين أو أكثر، ينتمي كل منهما إلى أمة أو قومية غير الأمة أو القومية التي ينتمي إليها الأدب الآخر، و في العادة إلى لغة غير اللغة التي ينتمي إليها أيضا، وهذه المقارنة قد تكون بين عنصر واحد أو أكثر من عناصر أدب قومي ما ونظيره في غيره **من الآداب القومية الأخرى وذلك بغية الوقوف على مناطق التشابه ومناطق الاختلاف بين الأدبين، ومعرفة العوامل المسؤولة عن ذلك.**

تختلف أهداف المقارنة بحسب الغرض من إجرائها؛ **فقد يكون هدفها كشف الصلات** الموجودة بينها وإبراز تأثير أحدها في غيره من الآداب، وقد يكون هدفها الموازنة الفنية أو المضمونية بينها، وقد يكون هدفها معرفة الصورة المرسومة في ذهن أمة من **الأمم عن أمة** أخرى من خلال الأعمال الأدبية، و قد يكون هدفها هو تتبع تيار أو نزعة ما عبر عدة آداب هذه التعريفات و المفاهيم تختلف و تتباين بحسب المدرسة أو الشخصية التي تسود **هذا التيار أو ذاك.**[1]

أما عن ميادين الأدب المقارن فإنها متعددة؛ فقد يكون ميدانه المقارنة بين جنس أدبي: **كالمسرحية، أو القصة، أو المقال، أو القصيدة، أو الملحمة،** أو المقامة في أدبين مختلفين **أو أكثر، وقد يكون ميدانه المقارنة** بين الأشكال الفنية داخل جنس أدبي من هذه الأجناس في ادب ما ونظيراتها في ادب اخر**؛ كنظام العروض و القافية، أو الموشحات على سبيل المثال وقد يكون ميدانه الصور الخيالية كالكناية والتشبيه و الاستعارة و المجاز، و قد يكون ميدانه** النماذج البشرية و الشخصيات التاريخية في الأعمال الأدبية، وقد يكون ميدانه التأثير الذي يحدثه كتاب أو كاتب ما في نظيره على الناحية الأخرى، أو مجرد الموازنة بينهما **لما يلاحظ من تشابههما وقد يكون ميدانه المقارنة بين المذاهب الأدبية كالكلاسيكية و الرومانسية و الواقعية** و الرمزية وغيرها من المذاهب هنا وهناك، وقد يكون ميدانه انعكاس صورة أمة ما في أدب **أمة أو أمم أخرى.**[2]

فالأدب المقارن هو العلم الذي يقوم بمقارنة الآداب القومية المختلفة و الموازنة بينهما ومعرفة ما فيها من عناصر مشتركة أو مختلفة و الأسباب المسؤولة عن ذلك، و التعرف على

---

[1] - عوض ابراهيم، - **دراسات في الأدب المقارن - الأدب المقارن** : تعريفه وميادينه، تاريخ آخر تحديث، http://www.alarabnews.com/alshaab/2006/14.04-2006/awad.htm.13.12.2012

2 – عوض ابراهيم، **نفس المرجع** .

الصلات التي تربطها بعضها ببعض في حالة وجود مثل تلك الصلات، و المعابر التي انتقل من خلالها عنصر أو أكثر من هذا الأدب أو ذاك إلى غيره من الآداب القومية الأخرى.

غير أن المدرسة الفرنسية (التاريخية) تشترط وجوب علاقات تاريخية قائمة فعلا على عكس المدرسة الأمريكية (النقدية) فالمهم أن تكون المقارنة بين أدب أمتين مختلفتين سواء كتب هذان الأدبان بلغتين مختلفين كما هو الغالب، أو كانا مكتوبين بنفس اللغة كما الحال بين الأدب الفرنسي و الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.[1]

إن الهدف الأسمى من دراسة الأدب المقارن هو تمتين العلاقات الأدبية بين الأمم والشعوب، وهذا شاهو سعيد في مقال له عن دور الأدب المقارن في حوار الحضارات بعنوان: (الأدب المقارن ومساهمته في حوار الثقافات) فيجيب عن سؤال طرحه عن الهدف من دراسة الأدب المقارن قائلا:

1- الحوار: يمكن أن يمثل الأدب المقارن جسرا للحوار بين الثقافات المختلفة وتشخيص نقاط الاختلاف والائتلاف بين الأنظمة الثقافية والأدبية المختلفة.

2- التركيز على البعد الإنساني للأب من خلال إبراز التقارب بين الغايات القصوى التي ترمي إليها الآداب القومية المختلفة وقد تتباين من حيث وسائل التعبير و اللغة لكنها تتآلف من حيث الغاية.

3-الترجمة ليست نشاطا هامشيا، كانت و ما زالت قوة تغيير قادرة على تشكيل تاريخ الثقافة.

4-التكافؤ الثقافي الذي يتحقق من خلال ردم الهوة بين الثقافات المتباينة ورفع الغبن التاريخي الذي لحق ببعض الثقافات، لأن التاريخ لم يشهد تساويا و تكافؤا كاملا في مستوى تطور الحضارات، بل جعل ثقافات بعض الشعوب مهيمنة ومسيطرة، فيما جعل بعض الثقافات مقلدة أو مهمشة، وعليه فإن مهمة الأدب المقارن هي خلق حالة من التوازن والتكافؤ بين الآداب والثقافات المختلفة. [2]

ومن خلال عرضنا لحقيقة الأدب المقارن وغاياته نكتشف أن هذه الأهداف والغايات هي نفسها التي سبق لنا وأن ذكرناها في معرض الحديث عن أهمية ودور التواصل الثقافي، وهنا

[1] - عوض ابراهيم، مرجع سابق .

[2] - عوض ابراهيم، نفس المرجع .

يمكن القول بأن أسمى غايات الأدب المقارن هي: التواصل الثقافي بين الثقافات المختلفة أخذا وعطاء لا غالب ولا مغلوب، وهذا التواصل الثقافي هو الذي نريد أن نبرهن عليه من خلال أعمال محمد بن أبي شنب.

المطلب الثالث: بوادر الدراسات المقارنة عند العرب.

ظهرت عدة إرهاصات ومحاولات عند النقاد والدارسين العرب ذا الخصوص نذكر منها:

-أحمد فارس الشدياق (1804-1888) من لبنان صاحب مؤلف (الوساطة في أخبار مالطا)، زار مصر ومالطا وتونس وتركيا والكثير من دول أوروبا، ثم قدم موازنة بين الشعرين العربي والأوروبي في غرض المدح

-سليمان البستاني (1856-1925) الذي استغرق في ترجمة الإلياذة مدة ثمانية سنوات من(1887-1895) وقارن في مقدمتها بين الملحمة في ثقافة اليونان والشعر القصصي في تراث العرب القدامى مبينا الاختلاف والتشابه بينهما، نافيا أي تأثير بين هذين العملين الأدبين.[1]

- محاولة «نجيب الحداد» التي أشار إليها إسحاق الحسيني في كتابه «النقد الأدبي المعاصر في الربع الأول من القرن العشرين»، الصادر بالقاهرة سنة 1967م حيث أن الشيخ نجيب الحداد نشر مقالته في مجلة «البيان» العدد الأول سنة 1897م، بعنوان «المقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي»، ساعده تمكنه لقراءة الشعر باللغة الفرنسية أو المترجم إليها، وأطلاعه الواسع على شعر المجيدين من شعراء العرب، قابل بين الشعر الإفرنجي والشعر العربي من عدة نواحي 2.

-أحمد أفندي كامل: «بلاغة العرب والإفرنج» نشرت هذه المحاولة في مجلة «المقتطف» سنة 1900م، حيث قارن الكاتب على من اطلع عليه من كلام الإفرنج وأشعارهم حول موضوعات تناولها فصحاء العرب من شعر ونثر، وعن النماذج الإفرنجية تناول نصوصا مترجمة لرديارد وكبلنغ، و فكتور هوجو، إلا أن موازنته أو مقارنته نالت ردا عنيفا بعد إطاحته بكلام هؤلاء الشعراء الإفرنج، وإن كانت هذه الموازنة لا تدخل في إطار الأدب المقارن بمعناه العلمي، إلا أنا فتحت افاقا للبحث عن المتشابهات بين الادبين العربي والغربي.3

---

[1] بومدين جيلالي، **القد الأدبي المقارن**، دار الحمراء للنشر والتوزيع والإعلام،ط1، سيدي بلعباس، **الجزائر،عام** 2012، ص53-54

[2] - **الكركي خالد وآخرون** ،المنهج والمصطلح في المحاولات العربية الأولى في الأدب المقارن، **أعمال الملتقى** الأول للمقارنين العرب، حول موضوع :**الأدب المقارن عند العرب** -المصطلح والمنهج-**عنابة من 08 إلى 12** جويلية 1984 ، ديوان المطبوعات الجامعية، **الجزائر،سنة**1991، **ص** 72- 73.

[3] - **الكركي خالد وآخرون، نفس المرجع، ص** 76-77 .

أما عن الأعلام من النقاد العرب البارزين في **الأدب المقارن حسب بعض الآراء فنجد** في المقام الأول:- **روحي الخالدي** (1864-1913) **الذي ألف كتابا بعنوان: «تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفكتور هوجو»**، نشر معظم فصوله في مجلة «الهلال» **خلال سنوات**(1902-1904م) **تحت اسم مستعار**1، **ومن أهم موضوعات هذا الكتاب ما يلي:**

- **فيكتور هوجو** (حياته وآثاره وآراؤه).

-أدب العرب وأراء متفرقة في النقد.

-**أدب** الإفرنج والفتح العربي في أوروبا والحروب **الصليبية**، وأثر ذلك في أدب أوروبا (في **الشعر والقصة والعلوم**).

-الطريقة المدرسية والطريقة الرومانية في أدب **الإفرنج**، وما أخذوه من ذلك عن العرب.2

ويضرب الخالدي مثالا عن تأثر الإفرنج بالعرب فيقول: « فتعلم الإفرنج من العرب القوافي، ورقة الغزل، وآداب النظم و النثر، وتلحين الأغاني والشعر، **ونقلوا عنهم القصص والحكايات، والنوادر وضروب الأمثال**، والحكم المنقولة عن الفرس والهنود، بهذا التاثر في الشعر صار فرسان الإفرنج يقلدون فرسان العرب في انتحال الشعر [....] **ويلاحظ أن** «**أغاني** رولان» المنظومة في القرن الحادي عشر وناظموها مجهولون، فيها من المبالغات ما في قصة عنترة، و هي تجسم الحروب بين الإفرنج وعرب الأندلس، كما يشير إلى ظهور الأشعار الهجوية و الهزلية والملح والفكاهات **مما هو على نسق كليلة ودمنة وضروب أمثال لقمان ... »، وما يدل على قربه من منهج النقد المقارن عندما يقول: «ولا يكمل علم الأدب للمتبحر** فيه إلا بعد أن ينظر في أدب الأمم المتمدنة، ولو نظرة عامة يطلع بها على مجمل تاريخ ادبهم وعلى بعض ما ترجم من مؤلفات المشاهير من كتبهم .... ».3

-**فخري أبو السعود:** فقد نشر على صفحات مجلة «**الرسالة**» سلسة مقالات في الأعوام (1935-1937م)، قابل فيها بين الأدب العربي من جهة والأدب الانجليزي من جهة ثانية **لكن دون الإشار**ة إلى التأثر والتبادل، **وهي** دراسات تطبيقية ذات طابع مقارني.

---

[1] - سليم الخطيب عماد علي، **مرجع**سابق، ص179.

[2] - **الكركي خالد وآخرون، مرجع**سابق، ص87

[3] - **الكركي خالد وآخرون، نفس المرجع**، ص87-88 .

- قسطاكي الحمصي: أصدر الأديب الحلبي قسطاكي الحمصي كتابه: «منهل الوراد في علم الانتقاد» في جزئه الثالث بحثا مطولا عن «الموازنة بين الكوميدية الإلهية ورسالة الغفران» وذلك في عام 1935م. [1]

- عبد الوهاب عزام: نشر دراسات في مجلة «الرسالة» حول العلاقات بين الأدب العربي والأدب الفارسي في الثلاثينات من القرن الماضي.

- إلياس أبو شبكة: يعد كتابه المعنون بـ: «روابط الفكر بين الغرب والفرنجة» الصادر في بداية الأربعينيات، والذي أعيد طبعه سنة 1945م، و هو من صميم الدراسات المقارنة وبعدها توالت الدراسات والكتب، ليظهر كتاب «الأدب المقارن» لنجيب العقيقي إلا أن المحتوى ليس له علاقة بالأدب المقارن بالمفهوم المتعارف عليه.

وفي عام 1949م ظهر كتاب عبد الرزاق حميدة بعنوان: «الأدب المقارن» وبعده في سنة 1951م كتاب «في الأدب المقارن» لإبراهيم سلامة، إلا أن ظهر كتاب «الأدب المقارن» لمحمد غنيمي هلال في عام 1953م، ويجمع النقاد والدارسين أنه أول كتاب منهجي أكاديمي للأدب المقارن حيث عدّ مصدرا هاما اتبعه كثير من المقارنين العرب، وهو على طريقة المدرسة الفرنسية.[2]

أما الدراسات الحديثة التي ظهرت في السبعينات والثمانينات، فلم تقتصر على نظريات المدرسة الفرنسية، بل أخذت نظريات المدرسة الأمريكية بالترجمة والشرح وظهر من يدعمها كحسام الخطيب، ومحي الدين صبحي الذي ترجم كتاب «نظرية الأدب» لريني ويليك وأوستن وارين، كذلك كتابات وترجمات جماعة مجلة «فصول المصرية» التي نشرت مقارنات تطبيقية بين الأدبين العربي والعبري، وكما تمت أولى الخطوات الصحيحة باتجاه المقارنة مع الأدب الاسباني، وفي سنة 1981م عقد مؤتمران مهمان؛ مؤتمر الأدب المقارن في ألمانيا، وفي مصر، وفي عام 1984م احتضنت جامعة عنابة الملتقى الأول للمقارنين العرب، وبعدها اهتمت بعض المجلات العربية بنشر دراسات مقارنة، وترجمت نصوص أجنبية مثل مجلات: الآداب الأجنبية والسورية وفصول المصرية، والثقافة الأجنبية العراقية، والكرمل

[1] - سليم الخطيب عماد علي، مرجع سابق، ص180

[2] - سليم الخطيب عماد علي، نفس المرجع، ص180-181

الفلسطينية، ومواقف اللبنانية ناشرة دراسات نظرية وتطبيقية لعدة أساتذة كبار في هذا التخصص.[1]

هذه هي بدايات وإرهاصات الدراسات المقارنة عند العرب، وإن لم تكن بالشكل المنهجي إلا مؤخرا حين اكتملت ونضجت الفكرة عند غيرنا، إلا أن فكرة المقارنة هي طبيعة في الإنسان انتقلت إلى الدراسات الأدبية، فماذا عنها عند ابن أبي شنب للاعتبارات التي سبق الاشارة إليها؟

[1] - **المناصرة** عز الدين **وآخرون**، بيان الأدب المقارن، إشكاليات الحدود، الأدب المقارن عند العرب – المصطلح والمنهج، **مرجع سابق ص** 134 .

المطلب الرابع: بوادر الدراسات المقارنة عند ابن أبي شنب.

لقد سبق القول بأن محمد بن أبي شنب كان متفتحا على ثقافات الغير، من خلال معرفته لعدة لغات أجنبية أهلته كي يكون مطلعا على ما يدور حول العالم آنذاك هذا من جهة، ومن جهة ثانية تنقلاته خارج الوطن ومشاركته في عدة لقاءات ومؤتمرات ولا سيما مؤتمرات المستشرقين، حيث قام بدور الوسيط الثقافي بين الشرق والغرب، إذ استطاع أن يوصل التراث العربي و الإسلامي إلى العالمية بفضل ترجمته لهذا التراث، وهذا كله من صميم الدراسات المقارنة، ولم يكتف بذلك، بل مارس الدراسات المقارنة ميدانيا من خلال المقارنة بين نص الكوميديا الإلهية من ناحية وبعض النصوص الإسلامية ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري من ناحية أخرى، حيث كان السبّاق لهذه الدراسة في العالم العربي، فهو الذي اهتم بهذه المسالة منذ سنة 1884م عندما قام بترجمة النشيد 31 من الكوميديا الإلهية، أين اكتشف أن بعض التعابير المتضمنة في ملحمة دانتي قد تعود إلى أصول عربية، كما لاحظ وهو يقرأ رسالة الغفران لأبي العلاء المعري أن هناك تشابهات أساسية بين رسالة المعري وكوميديا دانتي في سنة 1907م[1].

ورغم هذا فإن الدارسين العرب لم يشيروا لهذه الدراسة حسب ما أشار إليه الأستاذ عبد القادر بوزيدة، والتي تناولت الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية، رغم سبقه كل الدارسين لنص الكوميديا الإلهية وتأثرها ببعض النصوص الاسلامية[2] ، ويشير أيضا الأستاذ بومدين جيلالي إلى الكتاب الذي ألفه سعيد علوش « إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية في الوطن العربي » الذي لم يذكر فيه صاحبه جهود محمد بن أبي شنب حول الدراسة التي قام بها امبكرا والمتعلقة بمسألة تأثر دانتي بأبي العلاء وبالمصادر العربية الأخرى ، بل نسب الريادة إلى الكاتب عبد الرحمان أفندي أحمد ممثل مصر في المؤتمر الحادي عشر للاستشراق بباريس سنة 1897 م حينما قدم بحثا لم يطبع عن الصلة بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية.[3]

وللعلم أن دراسته هذه ظهرت سنة 1919م، وهي نفس السنة التي قدّم فيها المستشرق الإسباني (ميجال آسين بلاثيوس) دراسته حول الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية بعنوان:

1-Mohamed Bencheneb, sources musulmanes dans la « divine comédie », la revue africaine, vol 60, année 1919, P 483

[2] - بوزيدة عبد القادر، نفس المصدر، ص 205-206.

[3] - بومدين جيلالي، القد الأدبي المقارن في الوطن العربي، مرجع سابق، ص 59.

« تراث البعث الإسلامي وأثره في الكوميديا الإلهية »، وقد تطرق ابن أبي شنب إلى هذه الدراسة **بإعجاب، كما أشار** إلى الدراسة التي قام بها اسين بلاتيوس من **قبل تدور حول ابن مسرة ومدرسته** بين فيها تأثير نظريات المفكر **الأندلسي الأفلا**طونية والصوفية في الفكر المدرسي المسيحي وانتقالها إلى مؤلف الكوميديا الإلهية [1] فدراسة ابن أبي شنب هي دراسة مقارنة بالنظر إلى المعطيات التي قدمها، والإشارات التي اشار إليها كالتوازيات والتشابهات **والتطابقات فهو الذي يؤكد على التوازيات بين موضوع الكوميديا الإ**لهية و القصص التي تروي الرحلة الرائعة والعجيبة التي قام بها الرسول محمد **انطلاقا من قصة الإسراء** التي وردت في **سورة الإسراء**، والتي صيغت فيما بعد إلى نصوص تروي رحلة النبي محمد ليلا إلى جهنم وصعوده إلى السماء حيث الجنة، إذ يلفت النظر حول التشابه الكبير: «**ألا نلاحظ التشابه** الكبير بين قصة هذه الرحلة ورحلة دانتي في كوميدياه الإلهية ليلا إلى جهنم والجنة»[2]، ويشير إلى كثير من الأحداث التي تتشابه إلى حد التطابق بين القصتين **وعند حديثه عن الصعوبات** التي تعترض طريق المسافرين**؛ قبل وصول** محمد إلى الجحيم يعترضه ذئب وأسد في **رسالة الغفران**، كما يعترض دانتي فهد وأسد وذئبة في بداية رحلته**، ويقوم الخيثعور** (كبير الجن) الذي يلتقيه المرتحل المسلم في الطريق بين السماء والجحيم بنفس الدور الذي يقوم به « **فرجيل** » الذي يقود دانتي إلى المطهر، وفي الكوميديا الإلهية يلعب « **فرجيل** » **دور المرشد** لدانتي بينما يقوم جبريل بدور المرشد للنبي في رحلته وأثناء اقتراب المرتحلين من جهنم تظهر **نفس العلا**مات في القصتين**؛** ضوضاء غامضة ولهيب نار شديد**، وحراس أشداء غلاظ يمنعون المسافرين من الدخول وبعد كلام فرجيل والابتهال الذي علمه** جبريل **لمحمد، تم** دئة **غضب الحراس الـ ذ ين أ ركوا أما جاءا بأمر من الله ليتم فتح الأبواب.**

أما عن البناء الهندسي للجحيم في القصتين يؤكد أن معمار جحيم دانتي هو صورة طبق الأصل لصورة الجحيم في النص الإسلامي على الأقل في خطوطه العريضة **فكلا** الجحيمين على شكل قمع كبير مقلوب مكون من مجموعة **طوابق دائرية** تنزل تدريجيا إلى قاع **الأرض،** كل طابق مخصص إلى فئة من المذنبين، والعمق الكبير يتناسب مع جسامة الذنب وشدة العقوبة إضافة إلى كون وجود الجحيم في كلتا العملين تحت مدينة القدس

1Mohamed Ben cheneb,op .cit,pp.484-485
2- ibid.,p.484

ونفس التشابه يحدث عند خروجهما من الجحيم باتجاه الجنة **مثال ذلك: «عندما يمر المسافران بعد خروجهما من جهنم بمكان يتوسط النار والجنة** يحمل اسم **«المطهر»** في كوميديا دانتي، و**«الأعراف»** في قصة المعراج الإسلامية حيث يصعد النبي مقتفيا أثر جبريل **جبلا وعرا** ويفعل دانتي الشيء نفسه إذ يصعد جبل المطهر في أثر فرجيل، **و**في القصتين أيضا **يفصل بين المطهر والجنة، وهو يشرب المرتحلان من مائه** في الكوميديا الإلهية يتطهر دانتي بتوجيه من فرجيل في مياه انهار توجد في المطهر، وفي قصة المعراج تتطهر الأرواح كذلك في هذه المياه **...** وإلى جانب العديد من نقاط الشبه في هندسة **الجنة والعديد من التفاصيل** يشير ابن أبي شنب إلى **تماثل يلفت** الانتباه في وصف الجنة ومراتبها، في النصين **أيضا يتمثل** في طغيان عناصر اللون والنور والموسيقى على الاوصاف التي توصف بها الجنة **وهي كلها** أوصاف يسعى من خلالها إلى الإيحاء بالطابع الخارق المثالي للحياة السعيدة في الجنة **...** »[1]، **و** يضيف إلى جانب التشابهات، **بعض التطابقات حسب قوله لا يمكن إنكارها:** « **يشاهد** دانتي في سماء المشتري نسرا هائلا يتكون من تآلف آلاف من الملائكة يشع منها نور يخطف الأبصار، يعمد النّسر الهائل إلى خفق جناحيه، ويترنم بأناشيد إنجيلية تدعو إلى العدالة ثم يسكن، وفي قصة المعراج يشاهد الرسول **(ص)** ملكا هائلا في شكل ديك يحرك جناحيه ويترنم بأناشيد دينية تدعو إلى الصلاة ثم يسكن، كما يشاهد الرسول أيضا ملائكة **هائلة يتكون كل واحد منها من تآلف** عدد كبير من المناقير والأجنحة وهو يشع نورا وينشد كل **بلغة خاصة»، ويضيف قائلا :** «في سماء زحل يشاهد دانتي سلما ذهبيا يصعد حتى **آخر مراتب الجنة** يتسلقه دانتي بدعوة من بياتريس حتى يبلغ أعلى تلك المراتب، ويشاهد الرّسول سلّما يمتد من القدس حتى قمة السماء، تتكون درجاته من شتى أنواع الأحجار الكريمة وتصعد بفضله الأرواح إلى **السماء، يتسلقه** الرّسول فيبلغ قمة السماء في لمح البصر، في مختلف مراتب الجنة يلتقي المرتحلان المسيحي والمسلم **بمختلف الأنبياء** والملائكة حتى ببعض المعروفين في الدنيا...»2 .

« وتتطابق المرحلة النهائية لعملية الصعود في النصين تطابقا **لافتا، ففي الحالتين يصف لنا المرتحل وقد بلغ الحضرة** الإلهية تجلي **الخالق على النحو الآتي:**

1-ibid., pp. 485-486.
2 -ibid.,pp. 487-490.

بؤرة أو نقطة يشع منها نور شديد التألق، ومن حوله سبع دوائر تتكون من الأرواح الملائكية التي تسبح بحمد الله وتنبعث منها أنوار ساطعة ، تدور كل دائرة حول الدائرة التالية وتدور كل الدوائر بلا توقف حول البؤرة الإلهية، هذه الرؤية تترك في المعرجين الأثر نفسه: ينبهر كل واحد منهما بنور البؤرة الإلهية إلى درجة يخيل إليه أنه فقد البصر ، لكن الله يمنحه القدرة على مشاهدة ذلك النور...».

بعد إجراء هذه المقارنات المفصلية الدقيقة المبينة للتشابهات والتطابقات العديدة بين الكوميديا الإلهية من جهة وقصة المعراج ورسالة الغفران ونصوص أخرى من ناحية أخرى يتوصل ابن أبي شنب إلى نتيجة مهمة وهي: أن الإسلام كان يمتلك قصة دينية تروي رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العالم الآخر، وهذا قبل وضع دانتي لعمله بستمائة عام على الأقل، انطلق كتّاب السيرة وعلماء اللاهوت، والمفسرون، والمتصوفة، والفلاسفة، والشعراء من النواة الأولى المتمثلة في الحديث عن معراج الرسول صلى الله عليه وسلم في سورة الإسراء، ومن ثمة قاموا بتوسيعها وتضخيمها ومحاكاتها وصياغتها صياغة رمزية سبقت الكوميديا الإلهية بعدة قرون، حيث أنه لم يخرج عن الإطار العام للقصة، بل هناك تطابقات سواء من حيث البناء الهندسي للجحيم والجنة أو بنيتهما المعنوية، أو وصف العقوبات والمكافآت أو الخطوات العامة للحركة الدرامية وكذا أقسام الرحلة وأحداثها المتسلسلة ورمزيتها، وتوزيع الأدوار إلى البطل والشخصيات الثانوية وبعد هذه المقارنة من طرف ابن أبي شنب للنصين يتساءل : «هل إن هذه التشابهات والتطابقات جاءت نتيجة المصادفة ؟».

ويجيب: «لا أحد يظن ذلك، إذ لا توجد في التاريخ البشري كل نقاط التشابه والتطابق هذه بين عملين كانا يعتبران حتى هذه اللحظة غريبين عن بعضهما تماما».[1]

لقد أقام ابن أبي شنب الأطروحة على أساس التحليل المقارن للكوميديا الإلهية وقصص المعراج في الثقافة الإسلامية، رغم غياب الوثائق المؤكدة لوجود علاقة بين العملين لديه، لكن في سنة 1949م عندما قام «إنريكو تشير وللي» بنشر كتاب «السّلم»، وهو عبارة عن ترجمة مزدوجة باللاتينية والفرنسية لنص اسباني، كان بدوره ترجمة سيرة شعبية لقصة من المعراج العربية إلي الاسبانية حوالي 1264 م، إذ كانت توجد في «بيزا» في القرن الرابع عشر أسطورة باللغة العامية تتضمن فقرات في رحلة الرسول محمد وابتهاله إلى الله ليخفض

[1]-ibid., pp. 491-492.

عدد الصلوات إلى خمس، وهي وثائق تؤكد أن قصص المعراج قد انتقلت عن طريق الترجمة إلى اللاتينية ولغات أوروبية أخرى، قبل الربع الأول من القرن الرابع عشر وهو نفس التاريخ الذي وضع فيه دانتي ملحمته، بهذا يكون محمد ابن شنب اسس اطروحته على تحليله المقارن التي اكدتها الوثائق التاريخية[1] بمعنى وحسب المدرسة الفرنسية أن العلاقة التاريخية بين النصين قائمة، وأن تأثر دانتي بالنصوص الإسلامية ورسالة الغفران ثابتة، وبالتالي يمكن القول أن ابن أبي شنب قطع شوطا مهما في الدراسات التطبيقية في الأدب المقارن قبل غيره من الدارسين العرب.

وفي المقابل يرى محمد غنيمي هلال: «أن رسالة الغفران تشبه الكوميديا الإلهية في نوع الرحلة وأقسامها وكثير من مواقفها، وقد دفع هذا التشابه بعض الباحثين إلى القول بأن أبا العلاء أثر في «دانته» وهذا خطأ، إذ لا يوجد أي دليل على إطلاع دانته على رسالة أبي العلاء، وقد سبق أن بينا مصدر دانته العربي الإسلامي، كما كشفت عنه البحوث الحديثة، ولا مجال الآن لخلق أراء أخرى لا تستقيم مع البحث العلمي، وأما هذا التشابه بين رسالة أبي العلاء وكوميديا دانته فقد يكون راجعا إلى اهما كليهما قد أفاد من حكاية الإسراء والمعراج، كما وردت في الاحاديث الإسلامية غير الموثوق بها وفي هذه الحالة يكون لأبي العلاء فضل الإفادة أدبيا من التراث الإسلامي قبل دانته، وقد يكون أبو العلاء متأثرا بمصدر فارسي في رحلته هو كتاب: «أرده ويرأف نامه» إلى الجحيم والأعراف والجنة، بل لا يبعد أن يكون المصدر الفارسي أصلا كما سار بين المسلمين من خرافات حول الإسراء والمعراج »[2].

هذا الرأي يبين أن محمد غنيمي هلال ينفي تأثر دانته بأبي العلاء المعري*، على عكس ما رأيناه عند ابن أبي شنب، في حين يرى إبراهيم عبد الرحمان في مؤلفه «الأدب المقارن » إذ يقول: « فإذا ما تركنا أبا العلاء ورسالته إلى دانته لاحظنا أنه ينحو منحاه فالكوميديا الإلهية ليست هي الأخرى عملا فلسفيا دينيا أو عقليا، ولكنها وسيلة فنية يتخذ فيها مؤلفها من وصف رحلته إلى العالم الآخر رمزا على قضايا وأحداث و مواقف سياسية ودينية كان يعيشها وقد مرّ بنا فيما مضى اعتراف دانته بذلك في رسالة بعث بها إلى

---

[1]- بوزيدة عبد القادر، مصدر سابق، ص210.

[2]- غنيمي هلال محمد، مرجع سابق، ص230.

* يعد غنيمي هلال من رواد المدرسة التاريخية في الوطن العربي التي تشترط ثبوت التأثر والتأثير بواسطة القرائن المادية الثابتة تاريخيا.

صديقه « كان جراندیه » وقد راح هو الآخر يصدر أحكامه الدينية الغريبة على خصومه كما فعل المعري» 1، وللتأكيد أيضا على أن دانته تأثر بأبي العلاء، وردا على ما صدر عن محمد غنيمي هلال الذي ينفي هذا التأثير والتأثر المباشر هو ما يؤكده أحد الدارسين إذ يرى أن دانته استطاع الاطلاع على معرفة حركة العالم الاسلامي العلمية عن طريق أستاذه «برونيتولتيني» المترجم الماهر الذي يتكلم العربية جيد وأن دانته لم يكن يحسن العربية بل كان يطالع المصنفات العربية العديدة التي ترجمت إلى اللاتينية، وهو الذي اقتفى أثر كاتبين شهيرين من كتاب العرب وهما: المفكر الكبير محي الدين بن عربي و المعري وهذا ما أكده المستعرب الإسباني آسين بلاثيوس،[2] وهذا الكلام يؤكد على ما ذهب إليه ابن أبي شنب فيما مضى من التشابهات والتطابقات، وتاثر دانته بابي العلاء المعري وبقصة الاسراء و المعراج ، ومن خلال هذا العمل التطبيقي الذي يندرج ضمن حقل الأدب المقارن، أمكن القول أن ابن أبي شنب هو رائد من رواد الدراسات التطبيقية للأدب القارن في الوطن العربي بصفة عامة، وأول من طرق أبواب هذا الحقل في الجزائر، وعلى حد تعبير الأستاذ جيلالي بومدين حينما يقول: « أهله تمكنه اللغوي المتعدد وعطاؤه المعرفي المتنوع، وتنقله بين الشرق والغرب إلى أن يكون أول وسيط جزائري من وسائط الأدب المقارن، ومثقف العدوتين دون منازع، ولم يكتف بهذه الوساطة التي لا تقل اهمية في حقل الدراسات المقارنة بل تعداها إلى ممارسة المقارنة التطبيقية إن على مستوى الدرس اللغوي أو على مستوى الدرس الأدبي بالإضافة إلى مترجماته العديدة، وتعد دراسته الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية المحررة باللغة الفرنسية سنة 1919 أول عمل جزائري يدخل في صميم الأدب القارن ».[3]

2 - عبد الرحمان ابراهيم، مرجع سابق، ص217-218.

[2] رضا بك أحمد، الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، ترجمة بورقيبة محمد و الصادق الزملي محمد، تقديم المطوى محمد العروسي، دار بوسلامة للطباعة والنشر،ط 2، تونس ، علم 1977، ص 203-204.

[3] بومدين جيلالي، مرجع سابق، ص 187.

المبحث الثاني: مشاركته في مؤتمرات المستشرقين.

المطلب الأول: تعريف الاستشراق و نشأته.

الفرع الأول: تعريف الاستشراق.

كلمة استشراق مشتقة من الشرق و بالتحديد الشرق العربي الإسلامي، **ويعرفه القاموس الفرنسي:** « بانه مجموعة المعارف التي تتعلق بالشعوب الشرقية ولغاتهم وتاريخهم و **حضارهم،** وفي المجاز يعني عندهم تذوق اشياء الشرق » 1.

والشرق هو الموقع الجغرافي الواقع في الجهة الشرقية، المواجه والمقابل للغرب المتمثل **للغرب... إلا أن الشرق المقصود بالدراسة هو الشرق الإسلامي** حيث يتغلب الشرق الديني **على الشرق** الجغرافي.

فالشرق المكان، والشرق الهوية، هما اللذان شكلا الشرق الكبير، ودراسة هذا الشرق هي التي ألحقت صفة المستشرقين بدارسيه من الأوروبيين، و إلى الشرق ينسب **(علم الاستشراق).**

فالشرق الهوية هو مصدر العناية والاهتمام،2، **وكما يرى إدوارد سعيد** « بأنه مجال من مجالات البحث العلمي، يتناول فكرة وجود مجال دراسي، يقوم على وحدة جغرافية وثقافية **ولغوية وعرقية تسمى ا لشرق، و االات من وضع البشر مكتسبة التماسك والتكامل على مر** الزمن، لأن الباحثين يكرسون جهودهم بطرائق مختلفة لدراسة الموضوعات التي تبدو متفقا **عليها »،3 والغاية من دراسة الشرق هي معرفة الشرقي من خلال هويته،** وتاريخه، وثقافته، **ورغباته ، وأهوائه،** وطرق تفكيره **ومعرفة** طموحاته ومخططاته، **ونقاط قوته وضعفه،** عبر **ماضيه** وحاضره، **لرسم مستقبله والاحتفاظ به وهذه** المعرفة المرغوب فيها هي **غاية** الغرب التي **يبحث عنها،** تم وضع معالم شرق استشراقي في **ظروف** تاريخية معينة من وجهة غربية **وبأعين** الغرب 4.

---

[1]- نقلا عن البشير مغلي **محمد،** مناهج البحث في الإسلاميات، مركز الملك فيصل للبحوث **والدراسات** والإسلاميات **علم** 2002م، الرياض ص39، **بوفلاقة** سعيد، الاستشراق والمستشرقين بين الإنصاف والتجني، **مجلة** بونة للبحوث والدراسات، مجلة دورية محكمة، العدد الثالث، جوان 2005، **الجزائر، ص**119.

[2]- ابن إبراهيم الطيب، **الاستشراق الفرنسي (خاصة في الجزائر)، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، علم** 2009 ، ص 19 - 23 .

[3]- إدوارد سعيد - **الاستشراق** - المفاهيم الغربية للشرق، مرايا الكتاب، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع،ط1 ، القاهرة، **علم** 2006 ، ص 110.

[4]- ابن إبراهيم الطيب، **مرجع سابق، علم** 2009، ص 22 - 23.

و يكون المستشرق هو الإنسان الغربي الذي سخر نفسه لمعرفة ما يدور في الشرق ودراسة علوم ومعارف وسمات حضارية وثقافية متنوعة،[1] بغض النظر عن الفكرة التي يحملها هذا المستشرق عن الشرق وأهله، وعن الدوافع و النوايا، إلا أن السؤال المطروح هو: كيف نشأ هذا الاستشراق، وما هي مراحله؟ وهذا ما سوف نتعرض له لاحقا.

[1]- **الشحري محمد، محمد بن أبي** شنب بين الاستعراب والاستشراق، **محمد بن أبي شنب**، المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدرسابق، ص214.

الفرع الثاني: نشأة الاستشراق.

تعددت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق؛ **فبعضها يعتمد على تاريخ بعينه والآخر على حقبة أو عصر، أو حوادث، أو غايات معينة، والبعض الآخر أرجع بداية** الاستشراق إلى الحروب الصليبية1، وهناك من يرجعه إلى **سقوط طليطلة عام 433هـ/1085م** على يد الملك الإسباني ألفونس السادس، حينها سارع العلماء الإسبان والفرنسيون على **رأسهم مطران المدينة « ريمون »** إلى العكوف على كنوز المخطوطات العربية التي حولت طليطلة إلى كعبة للدارسين من أرجاء أوروبا محاولين ترجمتها، **ولاسيما مؤلفات ابن سينا والكندي** والفارابي **وابن رشدن،** 2 كما كانت محاولات فردية سابقة أمثال الراهب الفرنسي **« جربردي أورياك »** (938-1003م) **الذي قصد الأندلس** وتعلم بها وتخرج من مدارسها.3

إلا أن أغلب الدارسين يرجعون تاريخ الاستشراق إلى القرار الكنسي لعام 1312م **بمجمع فيينا،** حين قرر تأسيس عدد من كراسي الأستاذية في العربية **واليونانية** والعبرية والسريانية في جامعات: **باريس، أكسفورد، بولونيا، أفينيون** 4، ثم في البلاط البابوي،5 **ومنذ ذلك الحين أصبح الاستشراق مؤطرا** تسيره مؤسسات وترصد له ميزانيات.

مر الاستشراق بعدة مراحل تاريخية أهمها:

المرحلة الأولى: **بدأت بالاحتكاك بالحضارة العربية والإسلامية بالأندلس، و بدأت معها** عملية ترجمة الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية، **وهناك تكاثر عدد** الدارسين والمترجمين **الأوروبيين المتخرجين من مدارس إسبانيا العربية والإسلامية.**

المرحلة الثانية: تبدأ مع بداية الحروب الصليبية في اية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر للميلاد، في هذه الحقبة قدم **«رامون ليل» للبابا « سلستين الخامس»** كتابين يحملان خطتين للتبشير بين المسلمين عبر التعليم والمدرسة ومعرفة لغتهم، **والكتاب** الثاني تتمثل خطته في استعمال القوة إذا فشلت الخطة الأولى.6

---

[1] - **بوفلاقة** سعيد و آخرون، الاستشراق و المستشرقين بين الإنصاف و التجني، **مجلة بونة للبحوث و الدرلسات مرجعسابق** ، ص 121.

[2] - درويش **أحمد**، دراسات أدبية، **الاستشراق الفرنسي و الأدب العربي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، **مصر، علم** 1997م، ص 9 .

[3] - **ابن** إبراهيم الطيب، **مرجعسابق**، ص 49.

[4] - **ابن** إبراهيم الطيب، **نفس المرجع** ، ص 49- 50

[5] - **بوفلاقة** سعيد **و آخرون، مرجعسابق**، ص122.

[6] - **ابن** إبراهيم الطيب، **مرجعسابق**، ص 51-52.

المرحلة الثالثة: صاحبت هذه المرحلة الثورة الصناعية، وما نتج عنها **من أفكار** استعمارية وتوسعية بحثا عن المزيد من الأراضي والثروات والموارد الأولية، فكان لزاما التسلح بمعرفة لغات الشرق وثقافته وعاداته وتقاليده ودينه، ومعرفة كو **امنه النفسية والفكرية والسلوكية فتم تجنيد المعاهد و للجامعات والمؤسسات العلمية للقيام بذا الدور.**

المرحلة الرابعة: و هي الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين وما يليهما مباشرة وهي **مرحلة ظهور الحركات التحررية والفكرية والسياسية.**[1]

وهكذا توالت التطورات على الاستشراق إلى أن **مر بأزمة، مما استدعي** مؤتمره المنعقد **بباريس سنة** 1973م، **للتخلي عن مصطلح** «**الاستشراق**»، وسمي **المؤتمر بـ : (المؤتمر العالمي** للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال إفريقيا)، **وعقد تحت هذا** الاسم مؤتمران تم تغيير الاسم إلى: (المؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية و شمال أفريقية) **لأن مصطلح الاستشراق أصبح أكثر ارتباطا بالماضي وبالاستعمار،** فهذا المستشرق البريطاني « **برنار لويس** » أكثر صراحة في **مقالة له** في بداية الثمانينات، جاء فيها: « **لقد أصبحت كلمة - مستشرق - منذ الآن فصاعدا ملوثة، وليس هناك أمل في الخلاص فالكلمة فقدت قيمتها و أصحابها** تخلوا **عنها** »، [2] **ومن هنا أصبح المهتم بالدراسات العربية والإسلامية من أهل الغرب يسمى مستعربا.**

وبعد أن تعرفنا على معنى الاستشراق، **ونشأته، ومراحله، فما هي وسائله وأهدافه ؟ لأن** معرفة الوسائل والأهداف في اعتقادنا تبين حقيقة الاستشراق.

---

[1]- **ابن إبراهيم الطيب، نفس المرجع، ص** 54- 58.

[2]- **ابن إبراهيم الطيب، نفس ص.**

المطلب الثاني: وسائل الاستشراق و أهدافه.

الفرع الأول: وسائل الاستشراق.

تعددت الوسائل والأساليب حسب الأهداف والأجندات، وحسب الأزمنة والمستجدات، كما تتنوع الوسائل حسب انتماءات المستشرقين أنفسهم، إلا أن أهم استشراق عرفه التاريخ الأكثر نشاطا، والأكثر عددا وعدة هو الاستشراق الفرنسي والذي ركزنا عليه في دراستنا له، ويمكن حصر أهم وسائله وأساليبه والمتمثلة فيما يلي:

1_ كثرة المستشرقين: حيث تحتل فرنسا المقام الأول من حيث عدد المستشرقين متبوعة ببريطانيا في المرتبة الثانية، ثم ألمانيا في المرتبة الثالثة، تليها روسيا في المرتبة الرابعة، والولايات المتحدة الأمريكية في المرتبة الخامسة.[1]

2_ مدارس وكراسي اللغات الشرقية: بحلول القرن الرابع عشر للميلاد تم الاعتراف بالاستشراق، وتمثل هذا الاعتراف في مجمع فيينا الكنسي 1311-1312م الذي أعطى الصفة الشرعية والانطلاقة الرسمية، بعدما كان التعامل عمليا وميدانيا مع الثقافة والعلوم العربية والإسلامية بصفة فردية لا عن طريق المؤسسات.

وبعد اتساع دائرة التعامل الفرنسي مع الثقافة العربية والإسلامية وعلومها ومعارفها وازدياد إقبال طلبة العلم والمعرفة، ورجال الدين على المدارس والمعاهد العربية والإسلامية في الشرق، و أمام هذا الإقبال والاهتمام الثقافي على الشرق، أقدمت فرنسا على تأسيس المدارس والمعاهد العربية واللغات الشرقية على أراضيها من أجل تسهيل عملية تعلم الثقافة واللغات والعلوم الشرقية داخل التراب الفرنسي، وذلك منذ القرن الثاني عشر، نذكر منها: مدرسة ريمس بأمر من البابا سلفستر الثاني، ومدرسة شاوتر في عهد برنار وأخيه تيوريك في النصف الأول من القرن الثاني عشر، ومدرسة الطب في مونبلييه من إنشاء الجالية الإسلامية المغربية سنة 1220م.[2]

وبعدها تم إنشاء جامعات ومعاهد متخصصة، كجامعة باريس التي أنشأت كرسيا للغة السامية، وكرسيا للدراسات الإسلامية، وتم إنشاء كرسيا للعربية والعبرية سنة 1519م في ريمس بقرار من الملك فرانسوا الأول، وبعدها تم إنشاء المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية في

---

[1] - ابن إبراهيم الطيب، نفس المرجع، ص 232.

[2] - ابن إبراهيم الطيب، نفس المرجع، ص 233 - 234 .

باري سنة 1795م، تتلمذ فيها عدد من طلاب الدول الأوروبية كألمانيا وإنجلترا وإيطاليا والسويد وإسبانيا في عهد « دي ساسي »، ولحقتها عدة مدارس ومعاهد أخرى فيما بعد، ولم يقتصر الأمر على الداخل الفرنسي فقط، بل أنشأت ما يقابلها في مستعمراتها نذكر منها: معهد مصر الذي أسسه نابليون سنة 1798م، المدرسة الشرقية في القسطنطينية سنة 1802م، المعهد الوطني للآثار الشرقية في القاهرة سنة 1880م، مدرسة الآداب العالية بالجزائر سنة 1881م.[1]

لم يكن اهتمام الاحتلال الفرنسي للجزائر باللغة العربية فصحى وعامية من أجل إحيائها، بل من أجل خدمة الاستعمار للتعامل مع الجزائريين من جهة، ولمعرفة ثقافتهم لمحاربتها من جهة أخرى، إذ قامت بتكوين المترجمين من الفرنسيين، ومن أهم الناشطين في تدريس اللغة العربية نذكر منهم: المستشرق الفرنسي « لويس جاك برينييه » سنة 1837م بإشارة من « دي ساسي » على وزارة التعليم العمومي، و« شيبريونون » الذي تولى تدريس اللغة العربية في قسنطينة سنة 1845م، والمستشرق « هوداس » الذي تولى حلقة اللغة العربية في وهران سنة 1869م، والذي عين على رأس مدرسة الآداب العليا سنة 1880م، خلفه فيما بعد زميله « رينيه باصيه ».[2]

3_ الجمعيات الاستشراقية: في القرن التاسع عشر أصبح الاستشراق مهيكلا من أجل تنظيم حركة نشاطه وتنسيق جهوده، فظهرت أول جمعية استشراقية هي: (الجمعية الآسيوية) بفرنسا سنة 1822م، وأصدرت أول مجلة استشراقية فرنسية تسمى « المة الآسيوية »، وبعدها أسست مكتبتها الشرقية لجمع المخطوطات العربية والإسلامية تلتها فيما بعد « الجمعية الملكية الآسيوية » سنة 1832م ببريطانيا، ثم تلتها « الجمعية الاستشراقية الأمريكية » سنة 1842م، ثم « الجمعية الألمانية للدراسات الأجنبية » سنة 1845م،[3] وفي هذا الصدد نود الحديث عن الجمعيات الاستشراقية التي صاحبت الاستعمار بالجزائر وهي متعددة منها: « الجمعية الشرقية» التي جددت سنة 1856م، ثم الجمعية الجغرافية التي تأسست في باريس، واهتمت بالجزائر والمغرب العربي والاستكشافات، و« الجمعية الأثرية » في قسنطينة التي تأسست في ديسمبر 1852م، لها مجلة باسم «الحوليات» ثم تحولت إلى

---

[1]- ابن إبراهيم الطيب ، مرجع سابق، ص 234-235 .

[2]-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6 ، مصدر سابق، ص19-27 .

[3]- بن إبراهيم الطيب، مرجع سابق، ص237.

«روكاي للبحوث والمذكرات » اهتمت بالآثار الرومانية، ثم «الجمعية التاريخية الجزائرية» التي تأسست يوم 07 أبريل 1856م في العاصمة بمبادرة من الحاكم العام المارشال «راندون»، وقد نشرت مجلة « المة الإفريقية » الشهيرة التي اهتمت بنشر المخطوطات المحلية والعربية والوثائق الأصلية واهتمت بتاريخ الجزائر في مختلف عصوره، وبعدها توالت الجمعيات العلمية المتخصصة منها: «أكاديمية هيبون » التي تأسست في عنابة سنة 1863م، وهي ذات طابع أثري ديني واسم المجلة التابعة لها: « نشرة أكاديمية هيبون » تهتم بالشرق الجزائري، وفي سنة 1878م تأسست الجمعية الجغرافية لإقليم وهران تحت إدارة الضابط البحري « ترورباس » اهتمت بالجنوب والغرب الجزائري والمغرب الأقصى، أصبحت تعرف في سنة 1881م بـ: « الجمعية الجغرافية و الأثرية لإقليم و هران » ثم أسست متحفا يسمى « المتحف الأثري والفني لمدينة وهران »، وهناك جمعيات علمية أخرى، لكل جمعية مجلة خا صة ا بقيادة عسكريين ومستشرقين، إلى أن جاءت فكرة إنشاء اتحادية لهذه الجمعيات تحت اسم « فيدرالية الجمعيات العلمية لشمال إفريقيا ».[1]

4_ الات والدوريات الاستشراقية: عدد الطيب بن إبراهيم عدة مجلات ودوريات ونشرات من إنتاج الهيئات الاستشراقية الفرنسية التي تصدر بفرنسا وخارجها، وهي كثيرة نذكر من بينها: المة الآسيوية بفرنسا سنة 1822 م، المة الإفريقية بالجزائر سنة 1856م، مجلة تاريخ الأديان بفرنسا سنة 1880م، نشرة المراسلات الإفريقية سنة 1881م، مجلة العلوم الدينية تصدر بستراسبورغ، حوليات الجغرافيا بباريس سنة 1891 م، المة التونسية سنة 1894م، نشرة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة 1901،2 وغيرها كثير لا يتسع المال لذكرها كلها.

5_ مؤتمرات المستشرقين: كانت فرنسا تحتل الريادة في النشاط الاستشراقي تنظيرا وميدانا، وهي تحتل الريادة أيضا في مؤتمرات المستشرقين صاحبة السبق إلى فكرة عقد هذه المؤتمرات الداعمة والمؤطرة والمحتضنة لها، حيث دعت إلى عقد أول مؤتمر سنة 1873م بفرنسا، و منذ ذلك الحين أصبحت المؤتمرات تعقد بصفة دورية كل سنتين أو ثلاثة سنوات بحضور المئات من علماء الاستشراق من مختلف الدول والجنسيات والديانات، واحتضنت

[1]-سعد الله أبو القاسم، مصدرسابق، ص 90-98.

[2]- ابن إبراهيم الطيب، مرجعسابق، ص 238-239.

باريس أربعة مؤتمرات وهي: المؤتمر الأول سنة 1873م، وجمعت أعماله في مجلدين من ثلاثة أجزاء، المؤتمر الحادي عشر سنة 1897م، وجمعت أعماله في ثلاث مجلدات من خمسة أجزاء، المؤتمر الواحد والعشرين سنة 1948م، بعد اية الحرب العالمية الثانية، المؤتمر التاسع والعشرين المنعقد سنة 1973م، بمناسبة الذكرى المئوية الأولى لانعقاد مؤتمر المستشرقين الأول، أما المؤتمر الرابع عشر الذي انعقد بالجزائر سنة 1905م، والتي أشرفت على تنظيمه السلطات الفرنسية باعتبارها مستعمرة تابعة لها، اما دولة بريطانيا انعقد بها مؤتمرين فقط وهناك بعض الدول التي انعقد ا مؤتمر واحد فقط[1].

6- المكتبات الشرقية: تعتبر المكتبة الوطنية بباريس التي تأسست سنة 1654م من أهم المكتبات الأوروبية والعالمية، إذ تحتوي على أكثر من ستة ملايين من أمهات الكتب والمخطوطات منها: حوالي سبعة ألاف مخطوط عربي، إضافة إلى النوادر من النقود والأوسمة والأختام والخرائط العربية والإسلامية، تم تاتي مكتبة ستراسبورغ التي صنف فهرس مخطوطاتها العربية « جوليوس أوتنج » سنة 1877م، ومكتبة الجمعية الآسيوية في باريس صنف فهرس مخطوطاتها العربية « جورج فايدا »، ومكتبة مرسيليا التي صنف مخطوطاتها الاب « إبانس » فهرسا عاما لـ مخطوطاا الشرقية سنة 1892م بالإضافة إلى المكتبات الخاصة التي يملكها الملوك والنبلاء والرحالة والسفراء والقناصلة والعلماء[2].

7- دائرة المعارف الإسلامية: كللت جهود المستشرقين عبر عدة سنوات بحثا ودراسة بأضخم عمل متمثل في دائرة المعارف الإسلامية، اعتبرت كمرجع يرجع إليه الباحثون والدارسون فيما يخص أعلام العرب والمسلمين، وتراثهم وتاريخهم وجغرافيتهم ودينهم وآدابهم وفنونهم وتراجم أعمالهم، تم تأليف دائرة المعارف الإسلامية بثلاث لغات هي: الانجليزية الفرنسية، الألمانية، في أربع مجلدات ضخمة.

أما الذي قام بتحرير وترجمة نسختها الفرنسية فهو المستشرق الفرنسي رينيه باصيه عميد كلية الآداب في الجزائر بمشاركة مستشرقين فرنسيين آخرين منهم: هيار كارادیفو مارسيه، كوريل، ماسينيون، فيوليه، ليفي هنري، لامانس، بروفنسال وآخرون،[3] فهي ثمرة تعاون بين كثير من المستشرقين، أخذت جهدا كبيرا ووقتا طويلا إذ تم إصدارها في الفترة من

---

[1]- ابن إبراهيم الطيب، نفس المرجع، ص 242
[2]- ابن إبراهيم الطيب، نفس المرجع، ص 243 - 244
[3]- ابن إبراهيم الطيب، نفس المرجع ، ص 244

عام 1913 إلى عام 1938م، كما شارك في تحريرها عدد من المسلمين تم إصدار طبعة جديدة منقحة ومصححة وفق ما صدر من بحوث حديثة وما نشر واكتشف من مخطوطات مشتملة على ما تم التوصل إليه من نتائج للبحث العلمي في تاريخ العالم الإسلامي و جغرافيته، بدأ ظهور هذه الموسوعة منذ عام 1954م.[1]

ونظرا للجهود والامكانات المادية والبشرية المسخرة في سبيل انجاح الاستشراق الذي أصبح مهيكلا ومؤطرا وهذا لخدمة أغراض ودوافع متنوعة سنحاول الكشف عنها.

[1] - حمدي زقزوق محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، مصر، علم 1997، ص 70-71.

الفرع الثاني: أهداف ودوافع الاستشراق.

تنوعت وتعددت الأهداف و الدوافع ، نلخصها فيما يلي:

1-الدافع الديني: **حيث سبق** القول أن القرار الكنسي هو الذي سعى إلى دراسة ومعرفة لغات وحضارة كل ما يتعلق بالشرق العربي والإسلامي على وجه الخصوص، **انطلاقا** من خلفية تاريخية وهي الحروب الصليبية ، **والتمدد الإسلامي** إلى غاية القارة الأوروبية، **مما بات من الضروري معرفة الدين الإسلامي** واللغة العربية للتصدي لهما ومحاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه، وحماية المسحيين من خطره لتحذيرهم من خطر الاستسلام له ،وذلك بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على ما فيه من نقائص[1] **هذا من جهة، ومن** جهة ثانية لنشر المسيحية في الأوساط العربية و الإسلامية عن طريق حملات التبشير، **وعلى** هذا الأساس تم تأسيس كراسي في المعاهد والجامعات الغربية لدراسة اللغة العربية والحضارة **الإسلامية.** *كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

2-**الدوافع السياسية والاستعمارية والاقتصادية: لقد صاحب الاستشراق الإدارة الاستعمارية** في الجزائر، وارتبط بها ارتباطا سياسيا 2 **حيث خدم الاستشراق الإدارة الاستعمارية وهي بدورها خدمته** 3 .

يقول الطيب بن ابراهيم: « فإذا نظرنا إلى المستشرقين وإلى وظائفهم نراهم من الناحية **الشكلية والنظرية رجال علم وفكر وثقافة وكتابة وتأليف وتدريس، ولكن من جهة عملية** وميدانية نجدهم متورطين ومتآمرين سياسيا وعسكريا وتبشيريا واستخباراتيا كخبراء ومستشارين **وقناصلة وسفراء ووزراء وضباطا ومبشرين ...»** 4 **ويضيف قائلا: « والحقيقة أن ما قدمه الاستشراق للاستعمار من خدمات لا يقدر بثمن، فهي عظيمة من حيث نوعيتها وكميتها** وتنوعها عن الشرق جغرافيا وتاريخيا وثقافيا ودينيا وإثنيا وعسكريا واجتماعيا واقتصاديا وسلوكيا ونفسيا، هذه التقارير العلمية الجاهزة كان الاستعمار في أمس الحاجة إليها، وهي التي

---

[1] - **حمدي زقزوق محمود، نفس المرجع ، ص** 75.

* يقول أبو القاسم سعد الله في مؤلفه تاريخ الجزائر الثقافي الجزء السادس، **ص** 42 ما يلي: (ويبدوا لنا أن أكثر المجالات المطروقة عندهم هي ترجمة النصوص الإسلامية ، ودراسة العربية ولهجاتها ، والبربرية ولهجاتها وتاريخ الجزائر والمغرب العربي عموما، والفولكلور، وقد اهتموا بالإسلام كدين وعقيدة وتعاليم، وكتصوف ومرابطين وممارسات طقوسية ...)

[2] -**سعد الله أبو القاسم**، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، **مصدرسابق، ص**14.

[3] -**سعد الله أبو القاسم، نفس المصدر، ص** 56.

[4] - بن ابراهيم الطيب، **مرجعسابق، ص**39 .

سهلت من مهمته في التعامل وفي التحكم في مستعمراته والسيطرة عليها، ومحاولة ترويضها حسب رغباته، بناء على ما عرفه عنها من خلال دراسات المستشرقين...»1، وهذا المستشرق الكبير دي ساسي هو الذي ترجم البيان الموجه للجزائريين، وكان يستشار في جميع المسائل المتعلقة بالشرق من قبل وزارة الخارجية ووزارة الحربية في أحيان أخرى.[2]

هذه بعض الآراء التي تنظر نظرة سلبية إلى الاستشراق و المستشرقين ومهما قدموا حيث غابت عن اصحابها الجوانب الإيجابية؛ ولو كانت ذات قيمة علمية صحيحة من حيث المبدأ، مادامت صادرة عن مستشرق أو منقولة عنه، كما يقول عنهم علي بن إبراهيم النملة: « وكأني ببعض المتابعين العرب لإسهامات المستشرقين يتمثلون القول المأثور عن المصطفى محمد – صلى الله عليه وسلم- « كذب المنجمون ولو صدقوا »، ولكن بتعديل طفيف « كذب المستشرقون ولو صدقوا ».[3]

3- الدوافع العلمية: لا يمكن وضع جميع المستشرقين في كفة واحدة، ولا بوصفهم بصفة واحدة، بل منهم من انطلق بدافع حب الإطلاع والمعرفة، و كان من المستشرقين من كانت رغبته الدراسة العلمية والأكاديمية، فمنهم المنصفون لهم أهداف علمية خالصة قصد البحث العلمي، والتمحيص ودراسة التراث العربي والإسلامي نذكر على سبيل المثال لا الحصر المستشرقة الألمانية: « ماري شيمل » (2003/1922) شهد بفضلها الشرقيون والغربيون، والتي كانت تهتم بنقد اعمال المستشرقين وتقويمها، كما اهتمت بالتصوف والمتصوفين، وبالآداب الإسلامية كالعربية والفارسية والتركية كانت تحب القرآن حفظت قسما منه، وهناك مستشرقة ألمانية أخرى« زيغريد هونكه» صاحبة كتاب: « شمس العرب تسطع على الغرب » و « أثر الحضارة العربية في أوروبا»، وهو كتاب علمي أكاديمي ألفته الدكتورة تحدثت فيه عن الحضارة العربية والإسلامية و أثرها في تطوير حضارة الغرب في العلوم والفنون والآداب، ولها عدة مؤلفات أخرى منها : «الرجل والمرأة »، «وأثر الأدب العربي في الآداب الأوروبية ».

---

[1]- ابن إبراهيم الطيب، مرجعسابق، ص 175.

[2] - حمدي زقزوق محمود، مرجعسابق، ص49.

[3]- ابن إبراهيم النملة علي، إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي - دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق و النشر والترجمة-ط1، الرياض، علم 1996، ص 15.

ومن بين المستشرقين الذين تركوا بصماتهم أيضا: « كارل بروكلمان » (1956/1865م) فهو عالم بتاريخ الأدب العربي له كتاب بعنوان: « تاريخ الأدب العربي » وله مؤلفات أخرى.

نذكر أيضا المستشرق الفرنسي الفنان « إيتين دينيه » (1929/1861م) الذي عاش في مدينة بوسعادة، فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه، وله كتاب بعنوان: « أشعة خاصة بنور الإسلام ».[1]

هناك فئة من المستشرقين أنصفت الإسلام والتزمت بالموضوعية، ومنهم من اعتنق الإسلام،[2] بل إن من المستشرقين من وقف نفسه على خدمة التراث العربي الإسلامي ونأى بنفسه عن الدخول في أي مشروع يهدف إلى الإساءة والتعرض للإسلام والمسلمين.[3]

وهذا لا يعني أن هناك من المستشرقين من كان ظاهره البحث العلمي وباطنه أهداف غير بريئة، كتزييف الحقائق التاريخية للعرب والمسلمين والاساءة إليهم.

4- دوافع نفسية وشخصية و إيديولوجية: تعود إلى حب المعرفة والاطلاع والمغامرة وأسباب إيديولوجية كبعض المستشرقين الدين تدفعهم إيديولوجياتهم إلى الاتجاه نحو الاستشراق.[4]

وبعد أن تعرفنا على حقيقة الاستشراق من حيث؛ التعريف، والنشأة، والوسائل والأهداف، فالسؤال المطروح هو: ألا يمكن لهذا الاستشراق أن يكون مفيدا بالنسبة لثقافة الأنا باعتبار أن الآخر هو الدارس، والأنا هو موضوع الدراسة، فنكتشف عوالمنا من جهة ونظرة الآخر إلينا، بدلا من التشكيك والتحجيم لكل ما هو صادر عن الآخر مهما كان رأي هذا الأخير فينا؟.

وبصيغة أخرى ألا يمكن أن نستثمر في الجهود المبذولة من طرف بعض المستشرقين ولاسيما المنصفون منهم في إقامة جسر ثقافي نتواصل عبره أدبيا وثقافيا خدمة للتراث الإنساني المشترك بدلا من جعلهم كلهم في كفة واحدة ؟.

---

[1]- درويش أحمد –دراسات أدبية- الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، مرجع سابق، ص33

[2]-سعد الله أبو القاسم، مصدر سابق، ص44.

[3]- نقلا عن حمدي زقزوق محمد، (في مواجهة الاستشراق)، المسلم المعاصر مج 17، ع 65-66، جانفي 1992-1993، ص 11-40، علي بن إبراهيم النملة، مرجع سابق، ص 22

[4]- بوفلاقة سعيد وآخرون، مرجع سابق، ص123.

الا يمكن ان نستفيد من بحاربهم وابحاتهم واساليبهم **بدلا من أن ننبذ كل ما يصدر عنهم؟** ثم ألم يلعب المستشرقون دورا مهما في الجزائر في زمن محمد بن أبي شنب وهو أحد تلامذتهم في فهرسة مجموعة من المخطوطات وفي نشرها وترجمتها؟.

بصرف النظر عن أهدافهم في الاهتمام بكنوزنا وتراثنا وعمّا سبق قوله فإننا استفدنا **من هذا الاهتمام وخاصة من عملية الطباعة والنشر لما يمتلكونه من دور للنشر وآلات الطباعة.**

المطلب الثالث: علاقة الاستشراق بالتواصل الثقافي.

لقد رأينا فيما سبق معنى الاستشراق ووسائله وأهدافه، فوجدنا بعض الآراء تنتقد الاستشراق وترى فيه أنه يخدم الاستعمار والتبشير ويزيف الحقائق، ولكن **ألا يمكن أن يكون** للاستشراق فائدة وجوانب إيجابية تكمن في خدمة الأدب العربي **بصفة خاصة والثقافة** الشرقية بصفة عامة، ألا يمكن القول أن هناك إنجازات استشراقية كانت في صالح العرب **والمسلمين ؟**

إن المستشرقين ليسوا كلهم سواء في كفة **واحدة،** وإن كنا نختلف معهم في **اللغة والتاريخ والمعتقد والثقافة و** غيرها، **فإن أبرز ما يمكن قوله واستنتاجه هو:**

أن الاستشراق قام بدراسة التراث العلمي والأدبي والثقافي العربي الإسلامي، وحفظه **من الضياع والتلف، وذلك بفهرسة المخطوطات العربية وتحقيقها و نشرها والتعريف بها** * وهذا ما أدى إلى إسماع الرأي العام الغربي والعالمي إلى حقيقة مفادها أن هذه الأمة **تتعرض للاستعمار والاحتلال والتشويه والتمزيق، وهي أمة ذات حضارة عريقة تستحق الإعجاب والتقدير.**[1]

- ترجمة روائع الأدب العربي قديمه وحديثه إلى اللغات الأوروبية، **وتقديم العرب والمسلمين للرأي العام** من خلال ادابهم الذي يعد خير رسول ينقل صورة امة من الامم إلى العالم، وهذا ما ساعد على تحسين صورهم، فلولا مثل هذه الجهود لما نقل شيء من أدبنا إلى اللغات الأجنبية، ولا سمع الآخر عن التراث الثقافي والأدبي، وعن الأمة التي أنتجته، فالمستشرقون هم الطليعة الأولى التي أحاطت **بالتراث** الثقافي، وقامت بنقله عن طريق ترجمته إلى لغات اجنبية مختلفة، فيمكن القول في هذا الصدد انهم قدموا للامة الشرقية خدمة **إذا**

---

* **وهي** هذا يقول محمد كرد علي ما يلي: (لولا عناية المستعربين بإحياء آثارنا لما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة، وطبقات الحفاظ ،ومعجم ما استعجم ، وفتوح البلدان، وفهرست ابن النديم ومفاتيح العلوم، وطبقات الأطباء، وأخبار **الحكماء، والقفطي، و** الإسطخري، وابن حوقل، وابن جبير، وابن بطوطة ،إلى عشرات من كتب الجغرافية و الرحالات التي فتحت أمامنا، معرفة بلادنا في الماضي، وبها وقفنا على درجة حضارتها، ولولا إحياؤهم تاريخ ابن جرير، وابن الأثير، **وابن الفداء،** واليعقوبي، والديتوري **والمسعودي، وابن أبي شامة، وابن الطقطقي، وابن حمزة** الأصفهاني وأمثالهم، لجهلنا تاريخنا الصحيح، وأصبحنا في عماية من أمرنا...) نقلا عن محمد كرد علي، أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية، مجلة المجمع العربي بدمشق مج 7 ،1927 ، ص 455، علي بن إ براهيم النملة، إسهامات المستشرقين **في نشر التراث العربي الإسلامي** - دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق و النشر والترجمة - ط1، الرياض، 1996، ص22.

[1]- **عبود عبده، الأدب المقارن مشكلات وآفاق – دراسة – من منشورات اتحاد الكتاب العربي، 1999م.**
WWW.awu-dam – org/book /99.

علمنا أن الأمم الراقية المتطورة هي التي تقدم الدعم والتشجيع للذين يترجمون أعمالا من ادابها وفنونها إلى لغات اجنبية، لأن في ذلك مصلحة ثقافية خارجية[1].

-المستشرقون خدموا اللغة العربية من خلال تعليمها في جامعات ومعاهد و مدارس بلدانهم، اشرفوا عليها بانفسهم وتعليمها لغير ابنائها والناطقين بها، مما شكل قناة إضافية هامة للتعرف إلى الثقافة العربية والإسلامية وفهمها، وعبورها خارج حدودها القومية.

- تتمحور الدراسات والأبحاث الاستشراقية حول جوانب مختلفة منها: الأدبية والتاريخية، والاجتماعية، واللغوية، والدينية، والحقوقية وغيرها عن المجتمع العربي والإسلامي مما ساهم في معرفة الحضارة العربية والإسلامية، وأوجد فهما وتفهما ووفر للمجتمعات الغربية معلومات غزيرة حول العالمين العربي والإسلامي، وهذا الاهتمام بالثقافة الشرقية يصب في صالح هذه الثقافة، فهو خير من التجاهل والتعتيم مهما كانت نتائج تلك البحوث والدراسات، لأن المستشرقين ليسوا عربا، بل هم علماء وباحثون غربيون ينتمون إلى قوميات وعقائد مختلفة تحركهم دوافع واهتمامات شتى، منطلقين من أرضيات ومشارب ومناهج مختلفة.[2]

وبهذا الخصوص يقول عبده عبود: « إن معركتنا الثقافية الاعلامية المعاصرة هي معركة من نوع جديد، هي معركة تتطلب منا أن نتصرف بذكاء وحساسية وحذر، وأن نتحلى بنفس طويل ورؤية استراتيجية، فنحن في أمس الحاجة إلى حلفاء ثقافيين أي إلى جهات ثقافية خارجية ، تهتم بنا وتفهم اوضاعنا وتتفهم مشكلاتنا وتساعدنا في تصحيح صورتنا في العالم، وفي مقدمة تلك الأطراف تأتي المؤسسات والشخصيات العلمية الأجنبية التي درست لغتنا وثقافتنا، ألا وهم المستشرقون... إن المستشرقين يمكنوا أن يشكلوا همزة وصل بين الثقافة العربية الإسلامية وبين الثقافة الغربية، لانهم مؤهلون لهذا الدور علميا وثقافيا ».[3]

فبعد ما اتضحت الصورة نوعا ما عن علاقة الاستشراق بالتواصل الثقافي، كيف كانت مساهمة محمد بن أبي شنب من خلال مشاركته في مؤتمرات وندوات المستشرقين؟ هل هي في خدمة الثقافة العربية الإسلامية، وفي نقل صورة الأنا للآخر ؟ أم أنه خدم الاستشراق واللغة الفرنسية كما يعتقد البعض، وأن انخراطه في العمل الاستشراقي كان خاطئا من أساسه ولاسيما أنه تزامن مع احتلال الجزائر، وأن المؤسسة التي كانت تشرف على الاستشراق كانت

[1] - عبود عبده، مرجع سابق، ص139-140.
[2] - عبود عبده، نفسه ، ص140.
[3] - عبود عبده، نفسه ، ص 144.

تحت وصاية الاحتلال، وأن أهدافها غير شريفة حسب مقولة: (أن الاستشراق كان في خدمة الاستعمار والاستعمار كان في خدمة الاستشراق)؟.

هذا ما سيتم التعرف عليه، والإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها من خلال مشاركته في بعض المؤتمرات، ومن خلال الأعمال والأدوار التي قام بها.

المطلب الرابع: دوره في مؤتمرات الاستشراق

لم يكن العلامة ابن أبي شنب مستشرقا، بل كان عالما جزائريا أوجده علمه وذكاؤه وحبه للعلم والمعرفة في الصفوف الامامية في المجالس العلمية والاكاديمية، استفاد من أساتذته ومن محيطه الثقافي، ومن معرفته لعدة لغات أجنبية واطلاعه الواسع على عدة ثقافات كونت لديه ملكة حب البحث والتمحيص والتدقيق، إضافة إلى الصبر والمثابرة، كل هذه العوامل أهلته كي ينال الحظوة والمنزلة الرفيعة لدى زملائه الأساتذة، ولا سيما المستشرقين منهم أمثال: رونيه باصي، وهنري ماسي وألفرد بل، وليفي بروفنسال. استفاد أيضا من المنهج العلمي المتبع من طرف المستشرقين في دراسة المجتمعات الشرقية، وهو العارف لهذه المجتمعات والمدرك لخباياها، حيث قام بتجميع وتحقيق العديد من المخطوطات العربية والإسلامية بأعلى المقاييس العلمية، ونشرها نشرا علميا خالصا وترجم الكثير من هذا التراث إلى اللغات العالمية،[1] فهو الذي اختار المنهج العلمي القائم آنذاك كي يكون سلاحا بين يديه، فعمل على اكتشاف المعرفة والتنقيب عنها، وتنميتها وفحصها وتحقيقها بدقة ووعي عميقين.

لقد كان رونيه باصي أستاذا لمحمد بن أبي شنب وهو الذي قربه منه، وأرسله في مهمة إلى المغرب الأقصى، وهو الذي عينه مساعدا له في مدرسة الآداب ثم كلية الآداب وكان الساعد الأيمن لباصي في الدراسات العربية والمخطوطات والعادات واللغة. [2]

ظهرت علاقة ابن شنب بالاستشراق في مؤلفاته وبحوثه وتحقيقاته للنصوص والتعريف بالإجازات، وتأثره بالفكر الاستشراقي من حيث؛ المنهج العلمي المتبع، وسعة الإطلاع والصبر والتدقيق والتفصيل في المواضيع والأبحاث المدروسة، والتحقيق والتأليف والنشر والترجمة وهي كلها من أساليب ومميزات المستشرقين.

وعلاقة التلميذ بأساتذته وبالمستشرقين هي التي مهدت وسهلت لمشاركة ابن أبي شنب في المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين المنعقد في الجزائر سنة 1905م، تزامن ذلك مع مرور ربع قرن على تأسيس مدرسة الآداب في الجزائر، حضر المؤتمر حوالي 500 شخصية تحت رئاسة باصي،وصدرت عنه عدة مجلدات في مختلف الفروع المعرفية.

---

[1]- الشحري محمد، محمد بن أبي شنب بين الاستعراب والاستشراق، مصدرسابق، ص217 .

[2]- الشحري محمد، نفسه، ص 246 .

كان أول دخول لابن أبي شنب في ميدان المستشرقين **عن طريق** مساهمته ببحثين **الأول: حول (وصول صحيح** البخاري إلى سكان مدينة الجزائر**)** والثاني **دراسة عن** (الشخصيات المذكورة في **إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي**)، نشرت كل هذه الدراسات التي **تقدم** ا ابن أبي شنب في أعمال **المؤتمر**، كما قام بكتابة تقرير عن قسم اللغات الشرقية في المؤتمر نشر في المجلة الإفريقية، ورد على محاضرة « **بروفاش » الذي قدم انطباعاته عن الحج** إلى مكة، والتي ذكر فيها الأخطار التي يتعرض لها الحاج الجزائري والأمراض التي تصيبه في مكة ومنى.[1]

وعين كعضو فعال في لجنة تنظيم هذا المؤتمر مع أستاذه وزميله بن سماية وكلف بتمثيل **الجمعية** التاريخية الجزائرية في المؤتمر. [2]

أما عن المؤتمر الثاني الذي حضره العلامة فهو مؤتمر المستشرقين السابع عشر المنعقد في مدينة أكسفورد في السابع والعشرين أوت من سنة 1928م، **حيث انتدبته فرنسا ليمثلها** في هذا المؤتمر*، وهذا اعترافا منها بجهوده المبذولة في مجال البحث والتحقيق في **أسفار الأدب والتاريخ العربيين مستعملا أرقى الأساليب و**المناهج التي يسلكها علماء الغرب، من توسيع في البحث وتثبت في النظر ، وتصحيح في **الرواية وعناية بالضبط والتعليق، وتدقيق** في ترتيب **الفهارس، وهذا ما جعل مؤلفاته ومنشوراته تتسم بالقيمة العلمية**، إضافة إلى كونه يكتب و **ينشر باللغتين العربية والفرنسية، تقدم ببحث عن الشاعر الأندلسي ابن خاتمة، وقرأ منتخبات من ديوانه.** [3]

---

[1]- **بعلي حفناوي**، جهود محمد بن أبي شنب الرائدة في الترجمة و**الدراسات الثقافة المقارنة، مصدرسابق** ص247.

[2] -Tayeb ould aroussi et autres, Mohamed ben cheneb ,1869-1929 : un trait d'union entre deux cultures , institut du monde arabe , paris , mai 2004, p 17

* يقول عنه أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، **الجزء السادس، وكذا** في كتابه آراء وأبحاث: (أنه خدم الاستشراق وخدم اللغة الفرنسية أكثر مما خدم اللغة العربية)، في اعتقادنا أنه ظلم للرجل، فاللغة الفرنسية كانت أمرا مقضيا في الدراسات والبحوث العلمية، والجزائر كانت محتلة من طرف الفرنسيين ومكبلة بعدة قوانين تضيق على اللغة العربية، أما عن خدمته للاستشراق، **فالاستشراق** ليس كله شر، ولم يقدم في أبحاثه معلومات استخباراتية عن الجزائر والجزائريين أو العرب والمسلمين، بل قدم أبحاثا أدبية وتاريخية أصبحت فيما بعد مصدرا من مصادر العلم والأدب، إضافة إلى هذا فإن الفضل يعود إلى فرنسا بأن صنعت منه الباحث الأكاديمي والشخصية العالمية، وهذا لا ينكره أحد وبالتالي استفاد منها أكثر مما أفادها.

[3]- الطيب ولد لعروسي ، محمد بن أبي شنب، دراسات و شهادات، منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، 2009 ص 54.

و ذا نكون قد أجبنا عن عدة تساؤلات سابقة ومنها تساؤل سابق وهو: كيف كانت مساهمته في مؤتمرات وندوات المستشرقين؟، وحينها توصلنا إلى نتيجة مفادها أن مشاركته كانت مشاركة إيجابية **حيث استطاع أن ينقل بما أتيحت له من فرص جوانب أدبية** وتاريخية عن الثقافة الشرقية إلى **الآخر عن طريق بوابة الاستشراق،** ونقل الصورة الصحيحة إلى **الطرف الآخر** التي كانت مشوهة ومغيبة في أحيان أخرى، دون أن ننسى بأن نذكر بأن الاستشراق يعتبر واسطة من وسائط تقارب الثقافات من خلال **المواد المعروضة للبحث والدراسة،** ومن خلال نقلها إلى مجتمعات أخرى عن طريق الترجمة، وابن أبي شنب في **انتماءاته الجغرافية والثقافية، وفي كتاباته وحواراته مثل الشرق، والمستشرقون** في انتماءاتهم الجغرافية والثقافية، وفي كتاباتهم وتعاملاتهم مثلوا الغرب، **ومن هنا فهو حلقة من حلقات** التواصل الثقافي بين الشرق والغرب بالنظر إلى ما أخذ وما أعطى، ومن خلال مخالطته ومعاشرته للمستشرقين ومشاركته لهم في مؤتمراتهم،والاستشراق لم يكن غاية بالنسبة له بل **كان وسيلة من أجل تمرير رسالة ثقافية للآخر،** وأنه لم يكن يؤلف ويحقق ويترجم ويبحث من اجل إرضاء جهة مقصودة لذاتها، بل قام بهذه الاعمال وغيرها من اجل إرضاء الثقافة الشرقية وهي تراث إنساني مشترك، **و** يعتبر **الاستشراق حقل من حقول الأدب المقارن لأنه واسطة من وسائط انتقال الأفكار الأدبية والثقافية بين الشعوب والأمم ونقل صورة الأنا إل الآخر.**

ولم **تقتصر مشاركته فقط على مؤتمرات المستشرقين، بل كان شخصية ذات وزن علمي أكاديمي،** شهد له بذلك من عرفه من هذه الجهة أو تلك، **وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا.**

المبحث الثالث: مشاركته في البعثات العلمية والبحوث الأكاديمية والمراسلات.

المطلب الأول: انتدابه للبعثات العلمية.

تدرج ابن أبي شنب في تلقي العلم والمعرفة من طفولته إلى شيخوخته، **و من مستوى** إلى مستوى **أعلى** منه، بفضل الله تعالى، **ومساعدة عدة عوامل منها الاجتماعية والشخصية** إلى أن أصبح مميزا بين أقرانه وزملائه، ونال تقديرا كبيرا بأن صار ممثلا في كثير من المؤتمرات **والمنتديات العلمية المحلية والدولية**، للإشراف على الاختبارات العلمية في مختلف **الشهادات** التي تاهل اصحابها للالتحاق بالمؤسسات العلمية والتربوية، وذلك بالنظر إلى مواهبه **الشخصية، وقدراته العلمية**، وثباته في مواقفه، **ولكونه أحد** خريجي مدرسة المعلمين ببوزريعة، **والمدرسة العليا للآداب**، والمدارس الثانوية الإسلامية العربية المختصة في تكوين النخبة من **الموظفين** والمتعلمين ذوي المستوى العالي، **والذين يمثلون حلقة الوصل ما بين الإدارة و اتمع الجزائري**،[1] نذكر من بين هذه الانتدابات: **رئاسته للجنة الامتحان لطلبة (الباكالوريا) بتونس سنة** 1922م، رئاسته للجنة الامتحان إلى مدينة قسنطينة في جوان 1925م **لامتحان طلبة (الباكالوريا)**، وفي سنة 1926م **قصد** مدينتي وهران وتلمسان **لنفس الغرض**، وفي سنة 1927م عاد إلى قسنطينة للغاية نفسها وفي شهر أفريل سنة 1928م **انتدب لتمثيل الحكومة** في مؤتمر معهد **المباحث العليا المغربية بالرباط بصحبة عميد كلية الآداب « م.مارتينو » و بعض أساتذا والتقى حينها بعلماء من أهل المغرب** وغيرهم ممن انتدبوا لهذا **الغرض مثل** الوزير محمد المقري، **ووزير عدلية المنطقة الاسبانية السيد** أحمد الرهوني، **ونائب وزير العلوم** والمعارف محمد الحجوى، ونائب المملكة التونسية السيد حسن حسيني عبد **الوهاب، والشيخ** عبد الحي الكتاني، **وطائفة من المستشرقين منهم ليفي بروفنصال**،[2] وفي شهر جوان 1928م ترأس امتحان الباكالوريا ثم غادر الجزائر متجها إلى باريس ليحضر امتحان طلبة **(لاقريقاسيون)**، فلاقى الترحاب من طرف أساتذة باريس وشيوخ جامعة السوربون، **ومنهم الأستاذ «ماسي» و« قودفروا دومونبين »** وغيرهم وبعدها واصل مسيرته قاصدا **أكسفورد** ببريطانيا لحضور **المؤتمر السابع عشر للمستشرقين وهناك التقى بكبار العلماء و الأدباء العرب والمستشرقين نذكر من العرب:** محمد كرد علي مندوب الدولة السورية ورئيس ا **مع العلمي**

---

[1]- **بورايو** عبد الحميد، **محمد بن أبيشنب والسياسة، محمد بن شنب** المرجعية الثقافية والبعد الفكري، مصدر **سابق ص**17.

[2]- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره، مصدر سابق، ص20-22.

العربي بدمشق، والدكتور طه حسين مندوب الدولة المصرية، ومن المستشرقين نذكر منهم: العلامة « مارقوليوث » و« نالينو » وغيرهم كثير من مختلف البلدان.[1]

لقد كان الشيخ جالبا للأنظار ندامه الجزائري، وبعلمه الغزير، وبفصاحته باللغتين العربية والفرنسية*، وبهذا دخل عالم الشخصيات العلمية العالمية المؤثرة البارزة على الصعيدين العربي والغربي، وبالتالي أصبح وسيطا ثقافيا بين ثقافتين مختلفتين جغرافيا ولغويا ودينيا وفكريا؛ ثقافة شرقية بكل أبعادها وثقافة غربية بخصوصيتها وأبعادها أيضا، ولهذا حق لنا أن نصفه بأنه حلقة من حلقات التواصل الثقافي.

[1]- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، مصدرسابق ، ص22-23.

* تكفي شهادة محمد كرد علي لما رآه يخطب في أكسفورد أمام الحضور كما سبق التطرق إليها.

المطلب الثاني: جهوده في البحوث العلمية الأكاديمية.

لقد وصف العلامة ابن أبي شنب بأنه عالم أكثر مما هو أديب، رغم إقراضه للشعر ورغم تأليفه لعدة مؤلفات، إلا أن ميله للبحث والتنقيب والتصنيف والتحقيق هي الميزة التي ميزته عن بقية الأعمال والنشاطات، إذ نعيد ما قاله عنه صديقه محمد السعيد الزاهري فيما سبق ذكره آنفا في موضع آخر: « وهو وإن كان أستاذا للآداب العربية في الجامعة الفرنسية بالجزائر، ونال شهادة الدكتوراه في الآداب، فإنه في الواقع عالم أكثر مما هو أديب، وأبحاثه و إن كانت في موضوعات أدبية فهي أبحاث علمية على طريقة المشرقيات، لا تكاد ترى عليها مسحة أدبية فهي كلها أبحاث في اللغة العربية، وفي الأدب العربي وتاريخه وتاريخ رجاله، ولكنك إذا أنت قرأت بحثا من هذه الأبحاث فإنه لا يشوقك ولا يغريك بإدمان المطالعة ولا بالمضي فيها ذلك بأ ن لأسلوبا علمي بحت لا لذاذة فيه، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الشيخ المرحوم غير مشهور بين الأدباء- وأغلبهم الناشئة- كما هو مشهور بين العلماء »،[1] ونفهم من خلال وصف الزاهري له بأنه عالم أكثر مما هو أديب وكأن ذلك نقيصة في الرجل مادام أن أسلوبه أسلوب علمي لا لذاذة فيه، وفي اعتقادنا أن غاية ابن أبي شنب لم تكن المسحة الأدبية الجميلة في أعماله هي الغاية، بل كانت غايته أسمى من ذلك، فهو في عجلة من أمره كي يتطرق إلى أكبر عدد من القضايا و الدراسات والبحوث التي كانت تشغله، إضافة إلى مؤثرات أخرى منها: تأثره بالمناهج الاستشراقية السائدة في محيطه، و طابع تكوينه العلمي الذي تلقاه، والذي جمع بين تعليمه العربي الإسلامي الأصيل، وانفتاحه في تعليمه على الثقافات واللغات الأجنبية وهذا ما أكده زميله في الجامعة جورج مارسي في شهادته: « إنه كان صورة الأديب المسلم الذي عرف كيف يطلع على الأساليب الأوروبية في العمل من دون أن يفقد شيئا من صفاته وعاداته ... لقد عرف لوازم النقد العلمي ».[2]

و يقول عنه عبد الرحمان الجيلالي: « وقد اجتمع عنده من الكتب ما لم يتفق لآخر غيره وفيها من الكتب المخطوطة النادرة »، كذلك غنى مكتبة جامعة الجزائر والمكتبة الجزائرية عموما وتعدد مصدرها وتنوعها.[3]

---

[1]- ولد لعروسي الطيب، محمد بن أبي شنب ،دراسات و شهادات، مرجع سابق، ص65.
[2]- الجيلالي عبد الرحمان، مصدر سابق، ص 107.
[3]- الجيلالي عبد الرحمان، نفسه ، ص 29.

فمن خلال مسيرته المهنية كأستاذ جامعي بدأت الانطلاقة سنة 1908محينها كان مساعدا لتعليم اللغة العربية بجامعة الجزائر، إلى أن تحصل على شهادة الدكتوراه سنة 1922 وانتقل نائيا سنة 1924 إلى كلية الآداب حيث صار استاذا بها إلى ان وافته المنية، ففي هذه الفترة ساعده الاحتكاك أكثر بأساتذة وبعلماء من العيار الثقيل من خلال اللقاءات والمؤتمرات، بأن كشف من أعمال البحث والكتابة، فهو أول باحث جزائري اهتم باللغات وبالترجمةو كان منفتحا على آداب الشعوب الأخرى دراسة و تعليما وترجمة بالنظر إلى إتقانه لعدة لغات أجنبية ومخالطته لكثير من علماء وأساتذة من مختلف الجنسيات والقوميات، وهذه تعتبر في حد ذ انواة للأدب المقارن 1.

وللعلامة نماذج كثيرة من بحوثه العلمية نذكر من بينها:

-« نظرة إجمالية في اللغة السامية لحضرة العالم اللغوي صاحب الإمضاء »، تم نشر هذا البحث في المجلة الإفريقية لسنة 1919م في أجزائها الثاني والثالث والرابع، وهذا مقطع ما جاء فيه: « وقد ورد في التوراة أصحاح10 تقسيم الأجناس والأمم في آسيا القديمة،ونسبة كل أمة إلى ولد من أولاد نوح عليه السلام الثلاثة وهم: سام وحام ويافث، وأيد هذا القول بما ذكره الطبري في تاريخه ج 1 ص102، من أنه يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في قول الله عز وجل: «وجعلنا ذريتهم هم الباقين» أم سام وحام ويافث، وقد اتفق المؤرخون أن العبرانيين والأرنيين والعرب والحبشة من ذرية سام، وأن لغتهم متقاربة بعضها بعضا فاصبحت تسميتهم بالساميين، وإذا سلمنا ان هذه الامم كانت تتكلم بهذه اللغات فهل يمكن الجزم بأن أصلها واحد وأنه تكلم به في غابر الزمان، فالجواب بالتوقف لأننا نشاهد عددا كثيرا من قبائل البربر قد ترك لغته »2.

-«رأي غريب في القرآن منسوب للجاحظ»، تم إلقاء هذا البحث في المؤتمر السادس لمعهد المباحث العليا المغربية المنعقد برباط الفتح بتاريخ 10-12 أفريل 1928م، ومما جاء فيه: «...ومن جهة أخرى إن كلام الإمام الأشعري هذا يشعر بأن ما نسب للجاحظ في قلب القرآن ولم نعثر عليه إلى الآن في تآليفه التي وصلت إلينا، ليس برأي له في الاعتقاد ولكن مجرد نتيجة استنتجها خصومه بسبب حرارة الجدال، وبقصد النكال من رأيه في خلق

[1]- ولد لعروسي الطيب، العلامة محمد بن أبي شنب نقطة تواصل بين الغرب والشرق، مصدر سابق، ص 195.
[2]- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، مصدرسابق، ص 61 .

القرآن وتجسيم كلامه تعالى المنزل، وزيادة على ذلك أن هذا القول المنسوب إليه صدر عن ابن الراوندي المشهور بالزندقة، وكان بسبب نبذه المعتزلة فألف فيهم كتابه المسمى: «فضائح المعتزلة»، ومن الممكن أن القول الذي عزاه إلى الجاحظ نقله الشهرستاني من هذا الكتاب...»1،كما له بحثان آخران في تاريخ بعض المدن؛ الأول عن مدينة الجزائر بعنوان: «نظرة إجمالية في تاريخ مدينة الجزائر»، نشره في مجلة التقويم الجزائري سنة 1912م تحدث عن جغرافيتها إذ قال: « الجزائر مدينة عظيمة على ضفة البحر المتوسط في الجانب الغربي من الجون المسمى باسمها، وهي واقعة في الدرجة 36 و47 دقيقة و20 ثانية من العرض الشمالي و44 دقيقة و10 ثوان من طول باريس الشرقي.

هذه المدينة مبنية في سفح جبل أبي زريعة ممتدة على ساحل البحر محفوفة من جهة البر ببساتين يانعة ورياض سانعة، في وسطها قصور أنيقة وصروح عتيقة، وإذا أتيتها من البحر كأنا جناح برنس أبيض قد نشر على بساط أخضر...»، وتحدث عن تاريخها فقال: «...وإننا نجهل متى فتح المسلمون هذه المدينة، ومتى اسلم اهلها إلا اننا نعلم انها كانت شبه خراب عندما اختطها بلكين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي نحو سنة 367 هجرية، وكانت خواص بلاد بني حماد بن زيري بن مناد الصنهاجي...».[2]

أما البحث الثاني عن مدينة بونة فنشره أيضا بمجلة التقويم الجزائري لسنة 1913م وتطرق أيضا إلى جغرافيتها وتاريخها حيث قال عن جغرافيتها: «بونة -عنابة- مدينة على ضفة البحر المتوسط وتابعة لعمالة قسنطينة واقعة عند مصب رسوس وغربي جون رأساه رأس روزة من جهة الشرق، ورأس قارد من جهة الغرب وآخر تل من التلال المتفرعة عن جبال أذوغ، وقد بني في هذا الراس منارة للسفن وفي قربها مناجم رخام احمر جيد جدا...».

وعن تاريخها فيقول: «...فتحها القائد اليوناني بليزر وأضافها لملوك الروم بالقسطنطينية، وبقيت بونة في أيديهم إلى أن تملكها المسلمون سنة 78 هجرية في أيام أمير إفريقية حسان بن النعمان ... ».[3]

وله بحث آخر قدمه أثناء محاضرته بأكسفورد بمناسبة المؤتمر السابع عشر للمستشرقين حول الشاعر الأندلسي ابن خاتمة، تطرق فيه إلى الأدب الأندلسي عامة، وإلى ابن خاتمة

---

[1]- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، مصدرسابق، ص 75-81 .
[2] - الجيلا لي عبد الرحمان، نفس المصدر، ص 81.
[3]- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، نفس المصدر، ص 81-82 .

خاصة ومما جاء في هذا البحث ما يلي: « لا نعرف من الآداب العربية ولا سيما الشعر في بلاد الأندلس إلا بواسطة نفح الطيب للمقري وقلائد العقيان ومطمح الأنفس كلاهما للفتح بن خاقان وطبعة ديوان ابن خفاجة الناقصة، وطبعة ديوان ابن سهل التي تزيد خللا وتصحيفا، ومن المعلوم أن الشعر العربي على وجه الإطلاق ولاسيما شعر أهل الأندلس لا تبقى له قوته الذاتية إلا إذا قرئ في متونه الأصلية ...»، إلى أن تطرق في حديثه إلى الشاعر الأديب المؤرخ ابن خاتمة، ومما جاء في معرض حديثه ما يلي: «... وقال لسان الدين بن الخطيب مترجمه الوحيد في تعريفه هذا الرجل: صدر يشار إليه طالب متفنن مشارك قوي الإدراك سديد النظر قوي الذهن موفر الأدوات، كثير الاجتهاد، معين الطبع جيد القريحة باع الخط ممتع المالسة، حسن الخلق، جميل المعاشرة، حسنة من حسنات الأندلس، وطبقة في النظم والنثر، بعيد المرقى في درجة الاجتهاد، وأخذه بطرق الإحسان مشكور السيرة محمود الطريقة...»،[1] وله بحوث كثيرة متنوعة تاريخية ولغوية وأدبية، انتهج فيها المنهج العلمي الأكاديمي المبني على التمحيص والتدقيق في المصادر، ونعيد ما سبق ذكره للتأكيد على اهتمامه بالدراسات و البحوث العلمية وعلى تألقه في ذلك بدليل التصريحات المختلفة المصادر الخالية من الاملات*، ولذلك قال فيه الأستاذ جورج ماسي: « ومن الواجب أن نشير إجمالا إلى جميع أعماله حتى يتجلى لنا نشاطه العلمي فقد كنا نرجع إليه ونستضيء بضيائه كنا نناديه « شيخنا »، فإنه كان يجمع إلى صفات العلم والعالم الحقيقي صفات الصلاح والطيب »، كما قال فيه الأستاذ مارتينو مدير كلية الآداب بجامعة الجزائر وصديق الفقيد: «إن المنهج الذي نهجه ابن ابي شنب يدل دلالة واضحة على مقدار ما يستطيع ان يعمله العقل و الإرادة، والعمل في الارتفاع من أصغر المناصب إلى أعظمها وأني أود أن يوقر هذا المنهج شباب هذه البلاد وشباب فرنسا نفسها...إذا من السهل يومئذ على رجال العلم والعمل مهما تباعدت أقطارهم، أن يتآلفوا ويتعارفوا ويتحابوا »،[2] وأروع ما قيل فيه هو قول الشيخ البشير الإبراهيمي، وهذا مقطع منه سبق لنا وأن ذكرناه في موضع سابق: «...مات محمد فايقن زملاؤه وشركاؤه في الصنعة انهم فقدوا بفقده ركنا من اركان العلم الصحيح، وعلما من أعلام التاريخ الصحيح...لا بل فقدوا عقلا هذبه العلم وعلما هذبه العقل، فأنتجا

[1]- ولد لعروسي الطيب، دراسات وشهادات، مرجع سابق، ص41-42 .
[2]- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد مصدرسابق، ص 107-108.
*- لقدسبق لنا وأن تعرضنا لذلك في مبحث مكانة محمد بن أبيشنب عند العرب و الأجانب.

خير النتائج، **لا بل فقدوا مثالا كاملا من حياة العمل والنشاط والعبادة** للعلم والفناء في **العلم.**»[1]

وفعلا، فقد أفنى حياته باحثا ومعلما ومتنقلا في سبيله **دون أن يدّ**خر أي جهد، إلى أن وافته المنية وترك لنا إرثا عظيما متمثلا في كم هائل من البحوث والدراسات الأدبية والتاريخية والعلمية جعلها الله في ميزان حسناته، **ومازال العلماء والباحثون ينقبون عن أعماله، وينظمون الملتقيات من أجله.**

[1]- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، مصدر**سابق**، ص 115 -117.

المطلب الثالث: مراسلاته في المجلات و الدوريات.

لم يكتف المعلم والأستاذ ابن أبي شنب بتلقين طلبة العلم بالدروس في المدارس والمعاهد والجامعات، ولم يكتف أيضا بإصدار الكتب فقط، بل كانت له عدة مراسلات مع مختلف المجلات والدوريات الوطنية والاجنبية ينشر فيها مقالاته وابحاثه ورسائله، إيمانا منه أن للصافحة المكتوبة آنذاك كل الفضل في نشر الأعمال الأدبية والتاريخية والثقافية بصورة عامة، وأن الأعمال التي لا تنشر مهما كانت قيمتها الفنية والأدبية والعلمية سيكون مصيرها النسيان والاندثار، وهذا ما يؤكده عبده عبود عن أهمية الترجمة والنشر بقوله: « لكي يصبح العمل الأدبي عالميا يجب أن يترجم وينشر ليصبح في الإمكان أن يقرأ ويستقبل من جانب المتلقين في مختلف أرجاء العالم »،[1] وبواسطة هذه المجلات والدوريات وغيرها من دور النشر استطاع محمد بن أبي شنب وآخرون أن يوصلوا الثقافة الشرقية إلى العالمية، وأن يطلع العالم على تراثنا الأدبي والتاريخي والثقافي باللغة العربية والأجنبية، وتأتي في مقدمتها:

- المة الإفريقية التي اصدرها الجمعية التاريخية الجزائرية حيث نشر فيها عدة أعمال نذكر منها:

ترجمة لرسالة تسمى «خاتمة في رياضة الصبيان وتأديبهم وما يليق بذلك» لمؤلف مجهول وكان أول اتصال له بالمجلة في عددها 41 من سنة 1897م،

ترجمة « رحلة من تلمسان إلى مكة » للشاعر الشعبي بن مسايب، العدد 45 من سنة 1901م،

« لغات المسلمين »، وتقرير بالمؤتمر الرابع عشر للمستشرقين بالجزائر سنة 1905م، العدد 49،

مجموعة الأعمال العربية المؤلفة والمنشورة من طرف المسلمين (1904-1905)، العدد 50،

ترجمة «حرب القرم والجزائريين» للشاعر محمد بن اسماعيل، العدد 51 لسنة 1907 م،

أصل كلمة «شاشية»، العدد 51 من سنة 1907م،

وصف لمخطوطين حول أشراف زاوية تمصلوحت، العدد 52 لسنة 1908م،

[1]- عبود عبده، مرجع سابق ص 106.

ترجمة شعر في شرف الرسول صلى الله عليه وسلم ينسب لأم هاني، العدد 54 لسنة 1910م[1]،

ملاحظات حول استعمال كلمة «تليس»، العدد 56 من سنة 1912م،

ترجمة تكملة الصلة بالتعاون مع ألفريد بل مع النص الأصلي، العدد 59 من سنة 1918،

الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية لدانتي ، العدد 60 من سنة 1919م،

قائمة الاختصارات المستعملة من طرف المؤلفين العرب، العدد 61 من سنة 1920م،

بالتعاون مع ليفي بروفنصال تأليف معجم جمعا فيه طائفة من المطبوعات الفاسية، العدد 62 لسنة 1921م، والعدد 63 لسنة 1922م،

نشر النص العربي لمقدمة ابن الأبار «تكملة الصلة»، العدد 63 لسن 1923م،

العدد ثلاثة عند العرب، العدد 67 لسنة 1926م [2]،

- مجلة المجمع العلمي التابعة للمجمع العلمي بدمشق الذي تأسس في أوائل سنة 1920م، أنتخب محمد بن أبي شنب عضوا مراسلا، وهذا بعد الشهرة التي نالها من خلال نشاطه وما كان ينشره في المجلة الإفريقية وغيرها، ومن بين رسائله إلى المجمع: رسالة بعثا عام 1923م التي عدد فيها أسماء العلماء المعاصرين الذين خدموا اللغة العربية ببلاده قرئت هذه الرسالة في إحدى جلسات المجمع، وفي العام الموالي بعث برسالة يؤبن فيها أستاذه رونيه باصي ويقترح فيها أيضا انتخاب صديقه المستشرق هنري ماسي خلفا للمتوفى فكان له ذلك، كما كانت رسائله إلى صديقه محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي تكشف عن التواصل الثقافي والعلمي بين علماء المشرق والمغرب ، وذات قيمة أدبية وتاريخية.3

1-www.algérie-ancienne.com,revue africaine(société historique algérienne) : volumes à télécharger office des publication universitaires (Alger) ,et Mohammed hadj-sadok, l'Encyclopédie de l 'islam, 2e éd. T. III ,pp.711-713,et Tablit ali et Ouel laroussi tayeb, Mohamed Bencheneb, ses écrites et son œuvres (textes publiés dans des périodiques), T : II, Université d'Alger, conception et réalisation Thala Edition,Alger,2010,pp.209-213.

2- idem

3 - بعلي حفناوي، مصدرسابق، ص 257 – 259 .

- دائرة المعارف الإسلامية، وهو العربي المسلم الوحيد من بين نحو الخمسين من المستشرقين حين تأسست، و الذي كان ينشر فيها أبحاثه حيث نشر حوالي أربعة وستين بحثا.

- التقويم الجزائري، نشر ا عدة أعمال منها:

ترجمة عدة مفردات علمية من خلال مجلة المنار المصرية إلى اللغة الفرنسية سنة 1911م،

ترجمة روضة السلوان لعبد الجبار الفجيجي سنة 1911م،

ترجمة أرجوزة الألفية سنة 1912م،

نظرة إجمالية في تاريخ مدينة الجزائر سنة 1912م، وأعاد نشرها في سنة 1913م.

- المجلة الجزائرية التونسية المغربية في ا لقا نون وال تشر يع، نشر ا ترجمة «التيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة» لمحمد عبد القادر الفاسي سنة 1895م.

- مجلة الوثائق المغربية، نشر بها بحثا مطولا يتعلق بالزواج بين المسلمين وغيرهم سنة 1909م ، و نشر أيضا: «نظرة إجمالية في اللغة السامية» سنة 1928م.

- مجلة الأنديجان (الأهالي)، نشر ع لى صفحا ا:

الحياة المدنية الإسلامية في الجزائر سنة 1907م،

ظروف المرأة من خلال القرآن والسنة سنة 1908م.

- مجلة الشهاب الصادرة عن الحركة الإصلاحية الجزائرية، نشر بها بحثه حول الشاعر العربي الأندلسي «ابن خاتمة»، وهو موضوع بحثه الذي عرضه أمام مؤتمر المستشرقين سنة 1928م .

هذا بالإضافة إلى مراسلات أخرى بمجلات مختلفة: ك المة الفرنسية التونسية، ومجلة امع اللغوي العلمي الاستعماري بباريس الذي انتخب به عضوا عاملا به سنة 1924م، ومجلة الجمعية الآسيوية المسماة (المة الآسيوية) لسنة 1906م، نشر فيها عدة بحوث. [1]

وبفضل هذه المراسلات والكتابات المتنوعة في مختلف المجلات والدوريات والتي جعلت منه شخصية عالمية معروفة في الأوساط العلمية والأكاديمية أهلته كي يكون وسيطا ثقافيا بين

1-Mohamed.Hadj-Sadok,l’Ecyclopédie de l’islam,711-713, et Tablit Ali et Oueld laroussi Tayeb,op.cit.,pp.209-213.

ثقافتين مختلفتين **كما سبق لنا وأن** ذكرناها في عدة مرات، **ومن هنا تتأكد لنا مقولة: (** محمد بن أبي شنب حلقة تواصل ثقافي بين الشرق والغرب**)** بالنظر إلى هذه الجهود التي سبق ذكرها مجتمعة على مدار سنين طويلة مليئة بالإنجازات والأبحاث والمثابرة والصبر والتحري في المسائل التي يتناولها فهو كما يقول عنه العلامة البشير الإبراهيمي : « **الرجل صبور** والصبر مطية **النجاح** »، ، إلى أن يقول: « هذه الناحية هي التي لاحت للعلماء من غربيين وشرقيين فاكبروا الرجل وانزلوه المنزلة التي هو بها حقيق هذه الناحية هي العظة البالغة والعبرة النافعة للناشئين منا في العلم وهي المثال الذي يجب أن يحذوه وما حياة العلماء الذ **بن وقفوا حياتم** لنفع البشر إلا أمثلة تحتذي ولها بعد ذلك أثرها في النفوس أن خيرا وأن شرا. »[1]

[1] - الجيلالي عبد الرحمان، مصدر سابق، ص118.

خـاتـمـة:

في ختام هذا البحث يمكن الخروج بالنتائج التالية:

أن محمد بن أبي شنب لم يكن بالرجل العادي، بل هو رجل استثنائي في ظروف استثنائية، وهذا ما أقر به من عرف قدره، كما جاء على حد تعبير **(م .مارتينو) عندما قال عنه:** « إن حياة الدكتور محمد بن ابي شنب تعتبر مما يضرب بها المثل لدى حكومة فرنسا... وإنما قدم لهذه الرتب العالية التي نالها بشهادته العلمية وأعماله الخالدة وشهرته لدى **علماء المشرقيات** بأوروبا وغيرها، ولم نستطع أن نجد أو نختار غيره لها... **وإن كان ابن** أبي شنب قليل النضير في الجزائر فهو أيضا عديم المثال في فرنسا ».

وفي ذلك الجو المشحون **والمتأزم الذي تسبب فيه الاحتلال؛ من تجويع للبطون وتجهيل للعقول** وتكميم للأفواه، ظهرت فئة من المثقفين و المفكرين والأدباء تستنهض الهمم، وتنبذ **الصمت عن الباطل، حاملة لواء المقاومة الثقافية**، ومن بين هؤلاء نجد محمد بن أبي شنب **الذي كرس حياته لطلب العلم وتعليمه والاجتهاد** فيه، **إذ انطلق من الحكمة القائلة:** (**بدلا** من أن تلعن الظلام أوقد شمعة)، **فهو بذلك غرس الأمل** في **النفوس، وحبب العلم لطلبته** وسار في هذا الاتجاه.

فهو الرجل الجزائري العربي المسلم باسمه ولسانه ولباسه ودينه**والعالمي بإنسانيته و كرم** أخلاقه وتواضعه وأخذه وعطائه، **وهو المثقف المقاوم لكل أسباب التجهيل والتيئيس، وهو** المعلم والأستاذ والباحث، إذ تدرج في العملية **التعليمية منذ** شبابه إلى غاية شيخوخته من **جهة، والمتفتح** على البرامج والمناهج التعليمية **من خلال اندماجه** في المنظومة التعليمية القائمة **آنذاك**، والمحافظ على قيمه والتي ورثها عن أسلافه وأجداده**و كان بإمكانه أن يلتزم بيته أو** يزاول نشاطا آخر غير التعليم، **فلم يكن متعصبا لفكرة أو رأي ما، ما** لم يخالف الثوابت التي **يؤمن ا**، ولو لم يكن غير ذلك **ما كان ليمشي وراء جثمانه عرب ونصارى ومسلمين** ومسحيين في جو مهيب و**تكتبت عنه الجرائد والصحف** على مختلف لغاتها ومشاربها **و توجها**، وهذا في حد ذاته مؤشر من المؤشرات التي أهلته كي يكون **حلقة من حلقات** التواصل الثقافي بين ثقافتين مختلفتين **لغويا وجغرافيا وفكريا، فهو وإن كان يعمل لدى المؤسسات التعليمية الاستعمارية** من أدنى المراتب والمستويات إلى أعلاها **ويتقاضى رواتبه منها**، لم يكن **ينادي بالاندماج بالرغم من أن الإدارة الاستعمارية** قلدته الأوسمة **على تفوقه،**

ولربما لو كان غير ابن أبي شنب في مكانه لتم اختراقه بسهولة **نظرا للضغوطات النفسية والإغراءات من كل جهة، لذلك قال عنه السيد مارتينو:** « لم يكن يفكر أبدا في أن يتملق بكلمات مبتذلة لفرنسا التي أحسنت استقباله، **ولو فعل ذالك لاستأنا منه** وكما أنه لم يكن يفكر على الإطلاق في أن يقدم أية تنازلات عديمة الجدوى، ولم نكن نطلب منه ذلك، و**أن** ذكاءه الفطري جعله يدرك بدون **مشقة أفكارنا وإحساساتنا العميقة وكان شاكرا لنا بأن نفهم** ونحترم أفكاره وإحساساته.»

ومن هنا نستنتج أنه لم يكن تابعا فكريا لأحد غير علمه وضميره، وبالتالي نقول أنه انطلق من خلفية ثقافية جزائرية ذات البعد العربي الإسلامي، تمثلت في الثقافة الشرقية إذا اعتبرنا أن العالم كان مقسما إلى غرب بكل أبعاده الثقافية والحضارية والجغرافية، وشرق في **الجهة المقابلة بما** يحمله من دلالات وأبعاد هو الآخر.

وبعد هذه المقدمات **والاستنتاجات**تسهل علينا الإجابة عن الآليات التي استخدمها **كي يكون حلقة تواصل** ثقافي بين الشرق والغرب فنقول:

الآلية الأولى: **أنه** اهتم بالتراث العربي والإسلامي، ففتش عن كنوزه الأدبية واللغوية والتاريخية والفقهية من بين **رفوف الخزائن والمكتبات فصال وجال الأمصار من أجل** هذه **الغاية، محققا ومدققا وشارحا ومعلقا ليبين للآخر أن هذا** الشرق في وقت مضى من الزمن **كان يملك إرثا ثقافيا وحضاريا زاهرا، كان** محط الأنظار ومصدر إشعاع للعالم **وبذلك يرد على أصحاب** الأفكار المسبقة المصنفة للعالم**؛ غرب متقدم ومتحضر وشرق متأخر ومتخلف، ومن هنا حاول إنصاف الثقافة الشرقية** ويضعها في الصورة اللائقة بها **ومحو عنها كل الشوائب** حتى تكون ندا للثقافة الغربية**، إذ لا يمكنه أن يكون حلقة تواصل بين ثقافة غربية يرى** اصحابها انها في القمة وغيرها في الحضيض**، بل ربما يراها البعض منهم أنا مصدر كل إشعاع، وثقافة شرقية** مغمورة ومهملة ربما حتى **من أبنائها.**

أما الآلية الثانية: فتتمثل في ترجمة بعض كنوز التراث الشرقي لما يعلمه من أهميتها ودورها في اجتياز للحدود، وبهذا يكون قد بحح في فك الحصار عن الثقافة الشرقية، وعبر بها إلى الجهة المقابلة من العالم المتمثلة في الغرب، **أما** النجاح الثاني فإنه اختار نماذج أدبية ولغوية وتاريخية **وعقائدية** بعينها لما تحمله من دلالات وإشارات، ومن هنا اطلع العالم على ثقافة **شعب له أعماق يقبع تحت الاحتلال، على عكس ما كان يروج له هذا الاحتلال والذي**

حاول استغلال الترجمة والمترجمين لخدمة أغراضه الاستعمارية، ولا بد لنا من أن نفرق بين سلطات الاحتلال و ما تخفيه، وشعوب هذه السلطات والتي قد لا توافق على ما تفعله هذه الحكومات والسلطات، ومن هنا تتفاعل مع قضايانا وتتعاطف معها، بل قد تتلاقح الأفكار الشرقية مع الأفكار الغربية ولاسيما في القضايا الإنسانية المشتركة، ومن هنا أمكن القول أن ابن أبي شنب يكون قد نجح في التواصل الثقافي مع الآخر عبر هذه الآلية والتي تعتبر جسر من جسور التواصل، وأوصل الثقافة الشرقية إلى العالمية.

أما الآلية الثالثة التي استثمر فيها ابن أبي شنب فهي معرفته لعدة لغات مختلفة مما سهلت له التواصل مع الآخر والإطلاع على ما ينتجه بلغاته الأصلية، ولا أدل على ذلك أنه اطلع على الكوميديا الإلهية لداني بلغتها الأصلية وترجم النشيد الواحد والثلاثين منها، واكتشف قبل غيره للأصول الإسلامية لهذا العمل الأدبي- وإن كان البعض ينسبه للمستشرق الإسباني ميقيل آسين بلاثيوس- وبين على ما فيها من الاشارات والتطابقات لما يوجد في التراث العربي الإسلامي وبالأخص رسالة الغفران، نشر هذه الدراسة في المجلة الإفريقية سنة 1919م، وهذه الدراسة تدخل في صميم الأدب المقارن وإن خفي ذلك على الدارسين العرب من قبل، وذا يكون قد برهن بما لا يدع مجالا للشك أن التواصل الثقافي قد حصل من قبل لما أتيحت الفرصة لذلك، من دون أية عقدة نقص من الآخذ ولا عقدة استعلاء من المعطي.

الآلية الرابعة: علاقته الطيبة مع زملائه الأساتذة لاسيما المستشرقين منهم لما رأوا فيه من حب العلم والعلماء، فقربوه وقدموه فشارك في مؤتمراتهم، فخدم الثقافة الشرقية خدمة جليلة بالنظر إلى الموضوعات التي تقدم بها، والحرية التي تمتع بها في طرحه ومناقشته لها، وبالشخصيات والقامات العلمية التي التقى بها، سواء أكان ذلك داخل الجزائر أو خارجها، والمناهج العلمية الغربية التي أخذها عنهم، وهذه الزيارات واللقاءات أكسبته تجربة، وزادته وعيا ونضجا وتفتحا على الآخر، ومن هنا أيضا استطاع أن يكون حلقة من حلقات التواصل الثقافي بين الشرق لما كان يمثله رفقة إخوانه الشرقيين والغرب لما كان ممثلا في المستشرقين على اختلاف مشاربهم إذ التقت الأفكار والآراء في بوتقة الدراسات الشرقية، فصار لها مؤيدون ومريدون، وبالتالي لم تبق محصورة في الشرق حكرا على أبناء الشرق.

الآلية الخامسة: انتهاجه للمناهج العلمية الحديثة وسلوكه مسلكا بحثيا، وانخراطه في المجلات والدوريات التي تهتم بنشر الانتاج الثقافي **المتنوع مما سهلت له الانتشار الواسع** لأعماله وأفكاره، داخل الوطن وخارجه بلغات مختلفة مما يسمح له **بالتواصل بين الثقافات المختلفة** وللعلم أن الصحافة هي الواسطة الأكثر تأثيرا على رواج الأفكار والآراء وانتقالها، وبالتالي فهي جسر من جسور التواصل الثقافي، استطاع ابن أبي **شنب أن يستغلها لنقل** أفكاره وفلسفته التواصلية، ونقل ما يمكن نقله واستقبال ما يمكن استقباله، ساعده في **ذلك** ذكاؤه وصبره والمعايير العلمية المتبعة، فهو كما قال فيه العلامة البشير الإبراهيمي في كلمة **ألقاها بمناسبة تأبينه:** «...**لا بل فقدوا عقلا هذبه العلم وعلما هذبه العقل فأنتجا** خير النتائج، لا بل فقدوا مثالا كاملا من حياة العلم والنشاط والعبادة للعلم والفناء في العلم.»

لقد وفق في كل ما أراد، إذ تدرج في طلب العلم إلى أن صار دكتورا في الجامعة و **له** العديد من المؤلفات والأبحاث والدراسات المختلفة، قام بالعديد من الزيارات والرحالات داخل الوطن و خارجه، التقى بالكثير من الشخصيات العلمية و الأدبية و الثقافية وتبادل معها الحوارات والنقاشات العلمية، اكتسب على إثرها الاهتمام البالغ والتقدير الكبير على مدار مسيرته العلمية **حيا وميتا** إذ مشى في جنازته المسلمون والنصارى، **وكتبت عنه الجرائد** على **مختلف لغاتها** وتوجهاتها وانتماءاتها، وبهذا استطاع ان يلعب دور الوسيط الثقافي مادام **أنه عرض الثقافة الشرقية لغة وأدبا ودينا** وتاريخا وحضارة إلى الغرب، وبالتالي حق لنا أن **نصفه بأنه حلقة تواصل** ثقافي **بين الشرق والغرب** بكل ما يحمله هذا الوصف من معاني ودلالات.

وفي اعتقادنا أن ابن أبي شنب كان طفرة نوعية في ذلك الزمان، وشخصية فريدة في وزنها العلمي والثقافي إذا ما قارناها بالجو العام السائد انذاك، وبالظروف التي كانت تمر بها **البلاد العربية والإسلامية عامة والجزائر خاصة،** لذلك بدر إلينا أن نتناول هذه الشخصية **العالمية الفذة** بالدراسة والتحليل عبر هذه الرسالة الموسومة: « محمد بن أبي شنب حلقة تواصل ثقافي بين الشرق والغرب »، والتي نرجو من خلالها **أن نكون قد وفقنا** في إبراز بعض الجوانب التي تهم البحث العلمي والاكاديمي، ولاسيما ان كثيرا من الملتقيات والندوات **أصبحت تعقد من حين لآخر** حول هذه الشخصية، وبهذا نكون من الذين اتيحت لهم الفرصة للبحث حول هذه القامة من قامات الجزائر التاريخية **الخالدة، ويبقى الباب مفتوحا للبحث حول** عبقرية العلامة محمد بن أبي شنب **من عدة جوانب.**

وإننا نعترف بالتقصير ولم نعط الموضوع حقه من حيث الالمام بجوانب أساسية تخدم **البحث**، وهذا لعجز منا ولقلة المصادر والمراجع التي تدعم ما كنا نرجوه ونصبو إليه.

وأخيرا نرجو أن نكون من الموفقين في اختيارنا لهذا الموضوع **و** في **عرضنا للأفكار في كيفية الدفاع عن أرائنا** فيما يخص القضايا والمسائل التي تناولناها.

قائمة المصادر:

1- **بورايو عبد الحميد وآخرون**، محمد بن أبي شنب، **المرجعية الثقافية والبعد الفكري** (أعمال الملتقى الدولي بجامعة الجزائر من 15-17 ديسمبر 2009)، **الوكالة الإفريقية** للإنتاج السينمائي والثقافي، **الجزائر**، 2010.

2- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، محمد أبي شنب، حياته وآثاره، **المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر**، 1981.

3- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء السادس، من 1830-1954، **دار البصائر، الجزائر**، 2007

4- **سعد الله أبو القاسم**، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثامن، من 1830-1954، **دار البصائر، الجزائر**، 2007.

قائمة المراجع :

1- ابن ابراهيم الطيب، **الاستشراق الفرنسي** (خاصة في الجزائر)، **منشورات ا لمس الإسلامي الأعلى، الجزائر، عام** 2009.

2- ابن ابراهيم النملة علي، إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي – دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة – **الرياض، ط1، عام** 1996.

3- **إدوارد سعيد، مرايا الكتاب - الاستشراق** – المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، **رؤيا للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، عام** 2006.

4- إيفون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، **المدارس والممارسات الطبية و الدين من** (1830-1880)، ترجمة: محمد عبد **الكريم أوزعلة، المراجعة والإشراف: مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر**، 2007.

5- بديع محمد جمعة، دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، **ط2، سنة** 1980.

6- بن قينة عمر، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا... **وأنواعا... وقضايا... وأعلاما ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، عام** 1995 .

7- بومدين جيلالي، النقد الأدبي المقارن، دار الحمراء للنشر و التوزيع والإعلام، سيدي بلعباس، **الجزائر، ط** 1، عام 2012.

8- حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، عام 2010.
9- حمدي زقزوق محمود، الاستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف القاهرة، مصر، عام 1977.
10- خرفي صالح، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1986.
11- درويش أحمد، دراسات أدبية، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، عام 1997 .
12- رضا بك أحمد، الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق، ترجمة: محمد بورقيبة ومحمد الصادق الزمرلي، تقديم: محمد العروسي المطوى، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، ط2، عام 1977.
13- سليم الخطيب عماد علي، في الأدب الحديث ونقده، عرض وتوثيق وتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ، عمان، الأردن، ط1، عام 2009.
14- الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، عام 1983.
15- ابراهيم عبد الرحمان ، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، عام 2000.
16- غنيمي هلال محمد ، الأدب المقارن، دار العودة، ودار الثقافة، بيروت، ط5 ، دون ت ط.
17- الككي خالد وآخرون، أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب، حول موضوع: الأدب المقارن عند العرب - المصطلح والمنهج - عنابة من (08-12 جويلية 1984) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1991.
18- ولد لعروسي الطيب، أعلام من الآداب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر الجزائر، 2009.
19- ولد لعروسي الطيب، محمد بن ابي شنب، دراسات وشهادات، منشورات مديرية الثقافة بالمدية، عام 2009 .

مراجع باللغة الأجنبية :

1- Ben youcef ben kouar , écrits de Mohamed ben cheneb articles publies dans la revue africaine, flits édition, Médéa, 2009 .

2- Oueld laroussi tayeb, Mohamed bencheneb, 1869 – 1929: un trait d'union entre deux cultures, bibliothèque de l'institut des mandes arabes, France, mai 2004.

3- M. Hadj sadok, l'encyclopédie de l'islam,2 éd, T 3.

4- Tablit Ali et Oueld Laroussi Tayeb, Mohamed Bencheneb ses écrits et son ouvres (textes publiés dans des périodiques), tome 1, université d'Alger,conception et réalisation Thala édition, Alger, 2010.

5- Tablit Ali et Oueld Laroussi Tayeb, Mohamed Bencheneb ses écrits et son ouvres (textes publiés dans des périodiques), tome 2, université d'Alger, conception et réalisation Thala édition, Alger, 2010.

مجلات ودوريات:

1- مجلة أشير، العدد 2 ، سبتمبر 2004، الصادرة عن مديرية الثقافة لولاية المدية، بمساهمة الديوان الوطني لحقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

2- مجلة بونة للبحوث والدراسات، العدد الثالث، عنابة، جوان 2005.

مواقع الانترنيت:

1- حسام الدين مصطفى، دور الترجمة والتعريب في تطوير حركة البحث العلمي العربي ليوم 2011.05.22، تاريخ آخر تحديث: 2013.01.05.
http://www.almoltaqa.com/vb/showthead.php?79568

2-عبد المالك منصور حسن المصعبي ، دراسات – التواصل الثقافي العربي– العربي، جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات ، تاريخ آخر تحديث : 2013.01.02.
-http://atida.org./makal.php?id=69

3-عبود عبده، الأدب المقارن مشكلات وآفاق– دراسة– من منشورات إتحاد الكتاب العرب 1999 www.awu-dam-org-book/99 .

4-عوض ابراهيم - دراسات في الأدب المقارن – الأدب المقارن: تعريفه، وميادينه سنة 2006، تاريخ آخر تحديث: 2012.10.22.
www.alarabnews.com/alshaab/26/14/04/2006/awad.ht
5- معروف يحي، دور الترجمة والمترجمين في حوار الحضارات، مركز النور للدراسات ليوم: 2009.07.14، تاريخ آخر تحديث : 2012.12.15.
http://www.alnnoor.se/article.asp?id=52614
6- هويدا صالح الترجمة و تواصل الحضارات، ورقة عمل قدمت لمؤتمر بغداد الأول للترجمة- لحوار المتمدن- العدد 3176 ، ليوم: 2010.11.05 ، تاريخ آخر تحديث: 2012.12.10.
http://www.org./deba.show.art.asp?aid=23402.
7-www.algérie-anciénne.com, revue africaine (société historique algérienne: volumes à télécharger office des publications universitaires) (Alger).

فهرس الموضوعات:

الإهداء

الشكر

مقدمة: أ – هـ

الفصل التمهيدي 6-32

المبحث الأول: الواقع الثقافي الجزائري في عهد الاحتلال..... 7-18

المطلب الأول: موقف الإدارة الاستعمارية من الثقافة العربية والإسلامية في الجزائر 7-11

المطلب الثاني: المقاومة الثقافية عند الأدباء والمثقفين الجزائريين 12-16

المطلب الثالث: المقاومة الثقافية عند ابن أبي شنب..... 17-18

المبحث الثاني: نبذة عن حياة محمد بن أبي شنب 19-23

المطلب الأول: المولد والنشأة 19-21

المطلب الثاني: خصال ابن أبي شنب 22-23

المبحث الثالث: مكانة ابن أبي شنب عند العرب والأجانب 24-32

المطلب الأول: مكانته عند المثقفين والمفكرين العرب 24-29

المطلب الثاني: مكانته عند المثقفين والمفكرين الأجانب..... 30-32

الفصل الأول: التواصل الثقافي من خلال إحياء التراث والترجمة 33-65

المبحث الأول: معنى التواصل الثقافي وأهميته 34-36

المطلب الأول: معنى التواصل الثقافي 34

المطلب الثاني : دور التواصل الثقافي وأهميته 35-36

المبحث الثاني: حركة التأليف والنشر عند ابن أبي شنب 37-45

المطلب الأول: في مجال التربية والتعليم 37- 38

المطلب الثاني: في مجال التاريخ والتراجم والسير 39-40

المطلب الثالث: في مجال اللغة والأدب 41-45

المبحث الثالث: حركة تحقيق المخطوطات 46-54

المطلب الأول: حركة تحقيق المخطوطات في زمانه 46-47

المطلب الثاني: منهجه في تحقيق المخطوطات 50-48
المطلب الثالث: نماذج من أعماله في تحقيق المخطوطات 54-51
المبحث الرابع: حركة الترجمة ودورها في التواصل الثقافي 65-55
المطلب الأول: حركة الترجمة في العهد الاستعماري 56-55
المطلب الثاني: الترجمة ودورها في عملية التواصل الثقافي 61-57
الفرع الأول: معنى الترجمة 59-57
الفرع الثاني: دور الترجمة في عملية التواصل الثقافي 61-60
المطلب الثالث: دور الترجمة في التواصل الثقافي مع الآخر عند ابن أبي شنب ... 63-62
المطلب الرابع: نماذج من أعمال الترجمة عند ابن أبي شنب 65-64
الفصل الثاني: التواصل الثقافي من خلال الدراسات المقارنة والاستشراق والبعثات **والبحوث العلمية والمراسلات** 115-66
المبحث الأول: ظهور الدراسات المقارنة 85-67
المطلب الأول: ظهور الدراسات المقارنة في العالم 72-67
المطلب الثاني: **حقيقة الأدب المقارن** 75-73
المطلب الثالث: بوادر الدراسات المقارنة عند العرب 79-76
المطلب الرابع: بوادر الدراسات المقارنة عند ابن أبي شنب 85-80
المبحث الثاني: مشاركته في مؤتمرات المستشرقين 104-86
المطلب الأول: تعريف الاستشراق ونشأته 89-86
الفرع الأول: تعريف الاستشراق 87-86
الفرع الثاني: **نشأة الاستشراق** 89-88
المطلب الثاني: **وسائل الاستشراق وأهدافه** 98-90
الفرع الأول: وسائل الاستشراق 94-90
الفر الثاني: **أهداف ودوافع الاستشراق** 98-95
المطلب الثالث: علاقة الاستشراق بالتواصل الثقافي 101-99
المطلب الرابع:دور ه في مؤتمرات الاستشراق 104-102
المبحث الثالث: مشاركته في البعثات العلمية والبحوث **الأكاديمية و المراسلات** 115-105

المطلب الأول: انتدابه للبعثات العلمية 106-105
المطلب الثاني: جهوده في البحوث العلمية الأكاديمية 111-107
المطلب الثالث: مراسلاته في المجلات والدوريات 115-112
خاتمة 120-116
قائمة المصادر والمراجع 124-121
فهرس الموضوعات 127-125